الأَحْدَاثُ اللّيلِيةُ فِي القُرْآنِ الْكَرِيمِ دِرَاسَةٌ هِدَائِيَّةٌ

أ.د. أحمد حامد الشرقاوي (*)

ملخص البحث

يتطلع هذا البحث إلى بيان موضوع:"الأحداث التي حدثت في الليل في القرآن الكريم دراسة هدائية"، من حيث بيان معنى مفردات البحث:(الأحداث. الليلية. دراسة. هدائية). ثمّ جمع الآيات- المنصوص فيها بلفظ الليل-، ثمّ بيان مقتضى الحال لهذه الأحداث من حيث وقت الحدوث، وحال أصحاب الحادثة، وربط ذلك الحدث بموضوع السورة ومناسبة الآية. ثمّ التأمل في هذا المقتضى لبيان الحكمة التي تربط الوقت بالحدث وأصحاب الحدث، وما الأثر الهدائي الذي ترتب على ذلك.

ويكون البيان لكل تلك المسائل وفق المنهج العلمي على ما أتاحت به النصوص الشرعية من القرآن، والسنة، والآثار، وأقوال العلماء، في بيان تلكم الحقائق . نسأل الله التوفيق والقبول

الكلمات المفتاحية: دراسة. الأحداث. الليل. مقتضى الحال. الآثار الهداية.

(*) أستاذُ التفسير المساعد بقسم الدراسات الإسلامية- كلية الشريعة- جامعة الجوف المملكة العربية السعودية.

Night Events in the Holy Quran (Guidance Study)

Dr:Ahmed Hamed El-Sharkawy(*)

Abstract :

This research aims at clarifying the events narrated in Quran as happening at night and the guidance that can be extracted from these events. The paper starts with defining the most important terms (events, night, study, guidance). Then, the researcher collects all verses in which the word night appeared; analyzes them to show the time of the event, the status of the people involved in the event and linking this with the topic of the Surah and the suitability of the verse. Later, the researcher contemplates to show the wisdom in linking the event to the time and the people involved in order to extract the guidance effect.

The clarification of all these points is done by applying the scientific methodology to what is available in Quran and the purified Sunnah and what is narrated by Imams.

Keywords: study- events – night – guidance effects – status quo

(*) Assistant Professor of Tafseer Islamic Studies Department- Faculty of : college of sharia and law Jouf University.

المقـــــدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ولم يجعل له عوجاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله – صلى الله عليه وسلم - وبعد

فإنّ الله تعالى قد أنزل القرآن كتاب هداية ورحمة للخلق أجمعين، قال تعالى:{ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}(الأعراف:٥٢). أي:" هِدَايَةٍ عَامَّةٍ وَسَبَبَ رَحْمَةٍ خَاصَّةٍ"[١]، فمن اتبع القرآن، واهتدى بهديه، سعد دنياه وآخرته، قال تعالى:{ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى}(طه:١٢٣). وإنّ القصص القرآني عبرة وعظة لمن تدبره وفهمه، قال تعالى:{ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}(يوسف: ١١١)، وإنّ الله أمر عباده بتدبر كتابه، والإهتداء بهديه، قال تعالى:{ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}(ص:٢٩)، فوجب على الأمة أن تبذل قصارى جهدها في تدبر كتاب ربها، واظهار هدْيه للناس ليهتدوا بهديه، ويعملوا بمقتضاه. وهذا ما دعاني إلى استخارة ربي والاستعانة به سبحانه، في أن أكتب هذا الموضوع. فأسأله سبحانه العون والفتح والتيسير وعموم النفع- اللهم آمين.

محددات البحث

أ) - **إشكالية البحث:** تحدث القرآن الكريم كثيراً عن قَصص السابقين، وكتب العلماء عنها كثيرا، ولقد تعرضت بعض آياته للأحداث الليلة، ولم تفرد هذه الأحداث بدراسة خاصة، تبين معناها، وتذكر الحكمة منها، وتظهر آثارها الهدائية، ومقاصدها القرآنية، مما دفعني إلى بحث الموضوع، محاولاً الإجابة على التساؤلات الآتية:

- ما الأحداث الليلية- المنصوص فيها بلفظ الليل- في القرآن الكريم؟
- ما المناسبة بين الأحداث الليلة وموضوع السورة التي ذكرت فيها؟
- ما مقتضى الحال لكل آية من هذه الآيات؟
- ما الحكمة في وقوع هذه الأحداث ليلاً؟

(١) – تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)/ القلموني الحسيني: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر:١٩٩٠م، (٨/ ٣٩٣).

- **كيف نستفيد هدائياً من أحداث الليل في القرآن الكريم؟**

ب) أهداف الدراسة :

١ – افراد أحداث القرآن الليلية بالجمع والاستقراء في دراسة قرآنية هدائية.

٢- إظهار مدى اعتناء العلماء بالدراسات القرآنية .

٣- إظهار ارتباط القرآن الكريم بواقع المسلمين.

٤- وضع تعريف للتفسير الهدائي، وموقف المفسرين منه.

٤- إظهار هدايات بعض آيات القرآن الكريم في دراسة مستقلة.

٥- إظهار ارتباط كل قصة بموضوع كل سورة.

ج) – أسباب الدراسة:

١- عدم وجود دراسات مستقلة لهذه المسألة رغم أهميتها.

٢- كثرة الآثار الهدائية والتربوية المستفادة من هذه الأحداث.

٣- فتح الباب فيها لكثير من الموضوعات والأبحاث التي لم تدرس بعد.

هذا وغيره مما دعانا إلى البحث في هذا الموضوع والوقوف على بعض النتائج فيه، لعلّ الله أن يفتح لنا بما ينفع الخلق فيهتدوا إلى الحق المبين .

د) – منهج البحث :اتبع الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي.

فأمَّا المنهج الاستقرائي: فبتتبُّع آيات الأحداث الليلية- المنصوص فيها بلفظ الليل- وترتيبها حسب المصحف. وأمَّا لمنهج التحليلي : فبوصف وتحليل الروايات التي نصَّت بنزول آياتها ليلاً، ولإردافها بشرح الآيات من حيث بيان مناسبتها لموضوع السورة، وعلاقتها بمقتضى حال النزول. وأما المنهج الاستنباطي: فالبيان المعاني الهدائية لحدوث بعض أحداث القرآن الكريم ليلاً، وإظهار الأثر التَّربويِّ والسلوكيِّ لها.

ه) اجراءات البحث : تتبع الباحث آيات الأحداث الليلية- المنصوص فيها بلفظ الليل- في القرآن الكريم وجمعها، وقام بدراسة متأنية لها، وقد راعي فيها ما يلي:

١ – التأصيل النظري لمصطلحات الدراسة من الكتب المتخصصة.

٢ – التدقيق والتحرير في مسائل هذا الموضوع بعد جمع الأقوال والآراء فيه، والعمل على حسن تنسيقها، واتمام ما نقص وإيضاح ما غمض منها لتخرج- بفضل الله- النتيجة طيبة.

٣- عزو الأقوال إلى قائليها والرجوع إلى مصادرها من أجل الإستفادة منها.
٤- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية ، مع ذكر الحكم عليها – إن أمكن - إن كانت في غير الصحيحين.
٥- كتابة الآيات بالرسم العثماني مع بيان اسم السورة ورقم الآية في المتن.
و) – الدراسات السابقة: بعد كثير من البحث والدراسة- حول الأحداث الليلية في القرآن الكريم- لم أقف إلا على ما كتب العلماء حول القصص القرآني، أو ما كتب من خلال كتب التفسير، أمّا افراد الأحداث الليلية بحديث خاص، وبحث مستقل، وربط الحدث بموضوع السورة، والوقوف على مقتضى الحال لكل حدث، ثمّ النظر في الحِكم والهدايات لكل حدث، وربط ذلك بالوقع، فهذا ما أقف عليه في بحث مستقل مُحَكّم، مما دعاني إلى بحث هذا الموضوع على النحو التالي.
ز) - خطَّةُ البحث: وتتكون هذه الدراسة من: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة. وكل مبحث تحته عدة مطالب.
١ - أما المقدمة :وهي التي نحن بصددها.
٢ - التمهيد: تحرير مفردات البحث:" الأحداث، الليلية، هدائية ".
٣ - المبحث الأول:جمع الآيات التي حدثت ليلاً.
٤ - المبحث الثاني: دراسة الآيات:
المطلب الأول: مناسبة الحدث لموضوع السورة.
المطلب الثاني: مقتضى الحال للآيات.
المطلب الثالث: الحِكم من الأحداث الليلية.
٥ - المبحث الثالث: الجوانب الهدائية للآيات:
المطلب الأول: تعريف التفسير الهدائي وموقف المفسرين منه.
المطلب الثاني: الجانب الهدائي لكل آية.
٦ - وأخيراً الخاتمة :وشملت أهم نتائجه، ثم فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد: تحرير مفردات البحث:" الأحداث، الليلية. هدائية ".

الأحداث: جمع حَدَثُ، وحَدَثُ: اسم، والحادثة: الواقعة(١). وحِدْثان أمر كذا أي: حدوثه(٢).

يقول ابن فارس: الحاء، والدال، والثاء، أصل واحد، وهو كون شئ لم يكن، يقال: حدث أمر كذا بعد أن لم يكن(٣). والوقائع تسمى أحداثاً، لأنها تكثر فيها الأحاديث(٤).

مما سبق يتبين أنّ من بعض معاني هذه المادة: ما يدل على حدوث شئ في وقت لاحق لم يكن موجوداً من قبل، فحين يقال: الأحداث فإما تعني الوقائع والأمور التي قامت وحدثت، ويطلق عليها أحداثاً، ولأهميتها ومكانتها وخطورتها يكثر حديث الناس وكلامهم حولها، ولعل هذا من قولهم:(يتابع الأحداث اليومية باهتمام بالغ)، يقصدون أحداث الساعة: سياسية كانت أم اجتماعية أم اقتصادية ...، وإنّ دراسة الأحداث لا تعني سرد الأحداث، وإنما تُعنى: بالبحث عن سبب الحدث، وكيفية حدوثه، والعبرة والعظة منه. ولا شك أنّ أحداث القرآن الكريم أحداث واقعية صادقة مستمدة من الوحي، قال تعالى:{ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ}(يوسف:٣) ،وهي كثيرة ومتنوعة، بيد أنّ البحث هنا يقتصر على الوقائع الليلية دون غيرها.

الليلية: الليل عقيب النهار، ومبدؤه من غروب الشمس، وهو ظلام الليل. والليل: اسم لكل ليلة، والنهار اسم لكل يوم، فلا يقال: نهار ونهاران، ولا ليل وليلان، وإنما واحد النهار: يوم، وتثنيته: يومان، وجمعه: أيام، وضد اليوم ليلة

(١) – الصحاح في اللغة/ الجوهري.(١/ ٣٠٢) مادة حدث. لسان العرب/ بن منظور الأفريقي المصري، محمد بن مكرم ، دار صادر بيروت، الأولى، (٢/ ١٣١)، مادة حدث. معجم اللغة العربية المعاصرة/ عبد الحميد عمر، أحمد مختار (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، (١/ ٤٥٤) مادة: حدث.

(٢) – المحكم والمحيط الأعظم/ بن سيده المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل، ٤٥٨هـ، تحقيق/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٠م، (٣/ ٢٥٢)، مادة حدث.

(٣) – معجم مقاييس اللغة/ بن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.(٢/ ٣٦)، مادة حدث.

(٤) – كتاب العين/ الفراهيدي، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، دار ومكتبة الهلال، تحقيق / د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي.(٣/ ١٧٧) مادة: حدث.

وجمعها ليال[١]. والليل في الاصطلاح: لا يختلف عن اللغة، قال القرطبي هو:" مِنْ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ. وأنّ النَّهَارَ: مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، يَدُلُّ عَلَيْهِ حديث عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ" حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ" قَالَ لَهُ عَدِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَجْعَلُ تَحْتَ وِسَادَتِي عِقَالَيْنِ: عِقَالًا أَبْيَضَ وَعِقَالًا أَسْوَدَ، أَعْرِفُ بهما الليل من النهار، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(أن وِسَادَكَ لَعَرِيضٌ إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ) [٢]"[٣].

هدائية: الهدى في اللغة: (هَدَيَ): الْهَاءُ وَالدَّالُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: بمعنى التَّقَدُّمُ لِلْإِرْشَادِ"[٤].

الهداية في الإصطلاح: الْإِرْشَادُ إِلَى النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، لِأَنَّ الْهِدَايَةَ الْمَخْصُوصَةَ بِالْأَنْبِيَاءِ لَيْسَتْ إِلَّا ذَلِكَ[٥]. وهداية القرآن لا تخرج عن هذا الهدف.

ملحوظة: سيأتي مزيد ايضاح لهذه اللفظة في تعريف التفسير الهدائي.

وخلاصة تعريف البحث: الوقوف على الحدث الليلي- المنصوص فيها بلفظ الليل- في القرآن الكريم، وذلك بإظهار أغراضه ومقاصده وأهدافه حسبما يفهم من

---

(١) – المحكم والمحيط الأعظم/ بن سيده المرسي: (١٠/ ٣٩٦). لسان العرب: (١١/ ٦٠٧) مادة ليل. المخصص ـ لابن سيده / الأندلسي المعروف بابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي ، دار إحياء التراث العربي بيروت - ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، الأولى، تحقيق/خليل إبراهم جفال: (٢/ ٣٨٧)، مادة حدث.

(٢) – الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه/ البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الأولى ١٤٢٢هـ : (٦/ ٢٦ رقم ٤٥٠٩)، كتاب: الجمعة. بَابُ: مَنْ انْتَظَرَ حَتَّى تُدْفَنَ. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم/ القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (٢/ ٧٦٦ رقم ١٠٩٠)، كتاب: الصيام، ٨ – بَابُ: بَيَانِ أَنَّ الدُّخُولَ فِي الصَّوْمِ يَحْصُلُ بِطُلُوعِ الْفَجْرِ... .

(٣) – الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي، محمد بن أحمد شمس الدين ٦٧١هـ)، تحقيق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الثانية،١٣٨٤ه ،(١٩٣/٢).

(٤) – معجم مقاييس اللغة/ القزويني الرازي: أحمد بن فارس بن زكرياء ، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. (٦/ ٤٢). مادة هدى.

(٥) – مفاتيح الغيب/ الفخر الرازي:(٥٣/١٣)، وذلك عند تفسير قوله تعالى: { ... كُلًّا هَدَيْنَا..} ٨٤: الإنعام.

قوله تعالى:{ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}(يوسف :١١١)، والاستفادة من ذلك في إصلاح الجانب العملي عند المسلمين.

المبحث الأول:جمع آيات الأحداث الليلية.

عند جمع هذه المواطن من كتاب الله، تبين أن هناك آيات مصرح فيه بلفظ الليل، وكانت ست آيات فقط. ومنها آيات غير مصرح فيه بلفظ الليل ولكنه معروف ضمنياً: كأن يذكر فيه لفظ عام، كما في قوله تعالى:{وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}(الأنبياء:٨٧)، أو ما هو معروف حدوثه ليلاً من كتب السنة أو كتب التاريخ، كما في قوله تعالى:{ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ}(القصص:٢٩)، ولكني اقتصرت في هذا البحث على النوع الأول المصرح فيه بلفظ الليل، وجعلت ترتيب هذه الأحداث على الترتيب المصحفي، وكانت كما يلي:

١- الفرع الأول- قصة سيدنا موسى- عليه السلام- كما في قوله تعالى:{ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ}(البقرة:٥١). وقوله سبحانه:{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}(الأعراف: ١٤٢).

٢- الفرع الثاني- قصة سيدنا إبراهيم- عليه السلام، كما في قوله تعالى:{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ}(الأنعام:٧٤-٧٧).

٣- الفرع الثالث- قصة سيدنا لوطٌ- عليه السلام- كما في قوله تعالى:{ قَالُوا يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ

بِقَرِيبٍ}(هود:٨١). وقوله سبحانه:{ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ}(الحجر:٦٥).

٤- الفرع الرابع- قصة سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- كما في قوله تعالى:{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}(الإسراء:١).

٥- الفرع الخامس- قصة سيدنا زكريا- عليه السلام- كما في قوله تعالى:{ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا}(مريم:١٠).

٦- الفرع السادس- قصة سيدنا موسى- عليه السلام- كما في قوله تعالى:{ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٢٣) }(الدخان:٢٣). وقوله سبحانه:{ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ} (الشعراء:٥٢).

المبحث الثاني: دراسة الآيات

لقد:" أَجْمَلَ الْقُرْآنُ الْكَلَامَ عَنِ الْأُمَمِ، وَعَنِ السُّنَنِ الْإِلَهِيَّةِ، وَعَنْ آيَاتِهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَفِي الْآفَاقِ وَالْأَنْفُسِ، وَهُوَ إِجْمَالٌ صَادِرٌ عَمَّنْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَأَمَرَنَا بِالنَّظَرِ وَالتَّفَكُّرِ، وَالسَّيْرِ فِي الْأَرْضِ لِنَفْهَمَ إِجْمَالَهُ بِالتَّفْصِيلِ الَّذِي يَزِيدُنَا ارْتِقَاءً وَكَمَالًا، وَلَوِ اكْتَفَيْنَا مِنْ عِلْمِ الْكَوْنِ بِنَظْرَةٍ فِي ظَاهِرِهِ، لَكُنَّا كَمَنْ يَعْتَبِرُ الْكِتَابَ بِلَوْنِ جِلْدِهِ لَا بِمَا حَوَاهُ مِنْ عِلْمٍ وَحِكْمَةٍ ... وقد أَمَرَنَا سبحانه وتعالى أَنْ نَتَدَبَّرَه وَنَعْتَبِرَ بِهِ، وَنَتَذَكَّرَ وَنَهْتَدِيَ، وَأَنْ نَعْلَمَ مَا نَقُولُهُ فِي صِلَاتِنَا مِنْ آيَاتِهِ وَأَذْكَارِهِ، وَأَكَّدَ هَذِهِ الْمَسَائِلَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ"[1]. وبعد جمعنا لهذه الآيات نحاول- بفضل الله تعالى- مدارسة هذه الأحداث، كل حادثة منها في ثلاثة مطالب، كما يلي:

١- الفرع الأول: قصة سيدنا موسى- عليه السلام- كما في قوله تعالى:{ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ}(البقرة:٥١). وقوله سبحانه:{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}(الأعراف: ١٤٢).

المطلب الأول: مناسبة قصة سيدنا موسى- عليه السلام- في لقائه بربه لموضوع سورة البقرة، والأعراف: "تدور سورة البقرة على محورين: الأول ذكر الحديث عن بني اسرئيل (اليهود). والثاني عن تشريع بعض الشرائع. وفي القصة التي نحن بصددها:" يعرِّف فيها- سبحانه- بني إسرائيل بتفاصيل المنن التي امتن بها عليهم مرة بعد مرة، وهي تلك النعم التاريخية القديمة التي اتصل أثرها وسرى نفعها من الأصول إلى الفروع، فجعل يذكرهم بأيام الله فيهم، يوم أنجاهم من آل فرعون، ويوم أنجاهم من اليم وأغرق أعداءهم فيه، ويوم واعدهم بإنزال الكتاب عليهم، ويوم حقق وعده بإنزاله، ويوم قبل توبتهم عن الردة والشرك بالله، ويوم قبل توبتهم عن التمرد على نبيهم واقتراح العظائم عليه. وإنها لنعم جليلة (سابقة للذنب ولاحقة) تلين بذكراها القلوب، وتحرك الهمم لشكر المنعم وامتثال

(١) – مقدمة تفسير المنار: (١/ ٢١ ، ٢٥).

أمره"[١]. وهذا يؤكد كلام ربنا أن بني إسرائيل هم أكثر الخلق غدراً ونقضاً للعهد، حتى مع الله تعالى- في العبادة وغير العبادة، ولذا بدأ ربنا الحديث معهم بقوله سبحانه :{ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}(البقرة :٤٠)، وقد حكى ربنا عنهم قوله:{ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا}(النساء:٤٦).

يلاحظ أنّ: ١- في سورة البقرة تعداد للنعم والرد عليه من غير تفصيل، أمّا في سورة الأعراف فركزت السورة على حادثة لقاء موسى- عليه السلام- بربه تبارك وتعالى- وفصلت فيه القول تفصيلاً بليغاً.

٢- في سورة البقرة ذكر طلب بني إسرائيل لرؤية الله وما حدث بعدها، أمّا في سورة الأعراف ذكرت طلب الرؤية من موسى- عليه السلام- وما حدث بعدها.

٣- الشكر لله تعالى من بني إسرائيل (اليهود)، على العفو التوبة، أو على نزول التوراة، أو على عودة موسى- عليه السلام-.

المطلب الثاني: مقتضى الحال لقصة سيدنا موسى- عليه السلام- في لقائه بربه:" أنه لما عاد بني إسرائيل إلى مصرَ بعد مهلك فرعونَ وعد الله موسى عليه السلام أن يعطيه التوراة، وضرب له ميقاتاً ذا القعدة وعشر ذي الحجة، وقيل وعد- عليه السلام- بني إسرائيلَ وهو بمصرَ إن أهلك الله عدوَّهم أتاهم بكتاب مّنْ عِندِ الله تعالى، فيه بيانُ ما يأتون وما يذرون، فلما هلك فرعونُ سأل موسى ربه الكتابَ فأمره بصومِ ثلاثين، وهو شهرُ ذي القَعدة ثم زاد عشراً من ذي الحجة، وعبر عنها بالليالي لأنها غُررُ الشهور"[٢]. ولكن عودة بني إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون فيه خلاف والراجح عدم العودة،:" وَهَذَا وَهْمٌ فَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَعُودُوا إِلَى مِصْرَ الْبَتَّةَ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ، كَيْفَ وَالْآيَاتُ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ نُزُولَ الشَّرِيعَةِ كَانَ بِطُورِ سِينَا وَأَنَّ خُرُوجَهُمْ كَانَ لِيُعْطِيَهُمُ اللَّهُ الْأَرْضَ

(١) – النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم/ محمد بن عبد الله دراز (المتوفى : ١٣٧٧هـ)، اعتنى به/ أحمد مصطفى فضلية، قدم له : أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، صـ ٢٢٤.

(٢) – تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ أبو السعود العمادي ،محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (١٠١/١).

الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ"[1]. "وَالْمُرَادُ مِنَ الْمُوَاعَدَةِ هُنَا أَمْرُ اللَّهِ مُوسَى أَنْ يَنْقَطِعَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً لِمُنَاجَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِطْلَاقِ الْوَعْدِ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ ذَلِكَ تَشْرِيفٌ لِمُوسَى وَوَعْدٌ لَهُ بِكَلَامِ اللَّهِ وَبِإِعْطَاءِ الشَّرِيعَةِ ... وَاسْتُعْمِلَتْ هُنَا لِأَنَّ الْمُنَاجَاةَ وَالتَّكَلُّمَ يَقْتَضِي الْقُرْبَ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ اللِّقَاءِ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ وَلِذَلِكَ اسْتَغْنَى عَنْ ذِكْرِ الْمَوْعُودِ بِهِ لِظُهُورِهِ مِنْ صِيغَةِ الْمُوَاعَدَةِ." [2]. "وَإِذْ واعَدْنا مُوسى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً يُفِيدُ أَنَّ الْمُوَاعَدَةَ كَانَتْ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ عَلَى الْأَرْبَعِينَ، وَقَوْلُهُ فِي الْأَعْرَافِ وَواعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ يُفِيدُ أَنَّ الْمُوَاعَدَةَ كَانَتْ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ عَلَى الثَّلَاثِينَ فَكَيْفَ التَّوْفِيقُ بَيْنَهُمَا؟ أَجَابَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فَقَالَ: لَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّ وَعْدَهُ كَانَ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ وَعَدَهُ بِعَشْرٍ لَكِنَّهُ وَعَدَهُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً جَمِيعًا، وَهُوَ كَقَوْلِهِ:{ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ}(الْبَقَرَةِ: ١٩٦)" [3].

المطلب الثالث: الحكمة من لقاء سيدنا موسى- عليه السلام- بربه ليلاً: حيث عبّر سبحانه وتعالى:" ١- عن ذلك الوقت بالليالي دون الأيام لأن افتتاح الميقات كان من الليل، والليالي غرر شهور العرب، لأنها وضعت على سير القمر، والهلال إنما يهل بالليل، أو لأن الظلمة أقدم من الضوء بدليل:{وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ}(يس:٣٧).

٢- أو إشارة إلى مواصلة الصوم ليلا ونهارا ولو كان التفسير باليوم أمكن أن يعتقد أنه كان يفطر بالليل فلما نص على الليالي فهم من قوة الكلام أنه واصل أربعين ليلة بأيامها. والقول بأن ذكر الليلة- كان للإشعار بأن وعد موسى عليه السلام كان بقيام الليل- ليس بشيء لأن المروي أن المأمور به كان الصيام لا القيام.

---

(١) – التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»/ الطاهر بن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ هـ، (٤٩٧/١).

(٢) – تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ أبو السعود العمادي ،محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (١٠١/١).

(٣) – مفاتيح الغيب = التفسير الكبير/ بفخر الدين الرازي خطيب الري، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثالثة - ١٤٢٠ هـ، (٥١١/٣).

٣- وقد يقال من طريق الإشارة: إن ذكر الليلة للرمز إلى أن هذه المواعدة كانت بعد تمام السير إلى الله تعالى ومجاوزة بحر العوائق والعلائق، وهناك يكون السير في الله تعالى الذي لا تدرك حقيقته، ولا تعلم هويته، ولا يرى في بيداء جبروته إلا الدهشة والحيرة "[١].

٤- " قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: سَمِعْتُ الشَّيْخَ الزَّاهِدَ الْإِمَامَ الْوَاعِظَ أَبَا الْفَضْلِ الْجَوْهَرِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَعِظُ النَّاسَ فِي الْخَلْوَةِ بِاللَّهِ وَالدُّنُوِّ مِنْهُ فِي الصَّلَاةِ وَنَحْوِهِ وَأَنَّ ذَلِكَ يَشْغَلُ عَنْ كُلِّ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَيَقُولُ أَيْنَ حَالُ مُوسَى فِي الْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ! وَوِصَالِ ثَمَانِينَ مِنَ الدَّهْرِ مِنْ قول حِينَ سَارَ إِلَى الْخَضِرِ لِفَتَاهُ فِي بَعْضِ يوم:{آتِنا غَداءَنا} (الكهف:٦٢). قُلْتُ: وَبِهَذَا اسْتَدَلَّ عُلَمَاءُ الصُّوفِيَّةِ عَلَى الْوِصَالِ وَأَنَّ أَفْضَلَهُ أَرْبَعُونَ يَوْمًا. وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ فِي الْوِصَالِ فِي آيِ الصِّيَامِ"[٢].

٥- كانت هذه الليالي فترة "يروض موسى فيها نفسه على اللقاء الموعود، وينعزل فيها عن شواغل الأرض ليستغرق في هواتف السماء، ويعتكف فيها عن الخلق ليستغرق فيها في الخالق الجليل، وتصفو روحه وتشرق وتستضئ، وتتقوى عزيمته على مواجهة الموقف المرتقب وحمل الرسالة الموعودة"[٣].

وكأني ألخص كل ذلك في قول ربي تبارك وتعالى:{ يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا * وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا * رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا}(المزمل:١- ٩).

٢- الفرع الثاني: قصة سيدنا إبراهيم- عليه السلام، كما في قوله تعالى:{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *

---

(١) – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق/ علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤١٥ هـ ، (٢٥٩/١).

(٢) – الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي/ شمس الدين القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، (١/ ٣٩٦).

(٣) – في ظلال القرآن/ سيد قطب إبراهيم، دار الشروق،(٢٠٠٩/٤).

وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ}(الأنعام: ٧٤-٧٧).

المطلب الأول: مناسبة مناظرة سيدنا إبراهيم- عليه السلام- مع قومه لسورة الأنعام. والقصة تعالج:" الموضوع الأساسي في السورة - وهو بناء العقيدة على قاعدة من التعريف الشامل بحقيقة الألوهية وحقيقة العبودية ، وما بينهما من ارتباطات - ولكنه يعالجه في أسلوب آخر غير ما جرى به السياق منذ أول السورة، يعالجه في أسلوب القصص والتعقيب عليه مع استصحاب المؤثرات الموحية التي تزخر بها السورة، ومنها مشهد الاحتضار الكامل السمات، وذلك كله في نفس طويل رتيب يتوسط الموجات المتلاحقة ..، حيث يستعرض سبحانه حقيقة الألوهية - كما تتجلى في فطرة عبد من عباد الله الصالحين - إبراهيم عليه السلام - ويرسم مشهداً رائعاً حقاً للفطرة السليمة ، وهي تبحث عن إلهها الحق ، الذي تجده في أعماقها ، بينما هي تصطدم في الخارج بانحرافات الجاهلية وتصوراتها . إلى أن يخلص لها تصور حق ، يطابق ما ارتسم في أعماقها عن إلهها الحق . ويقوم على ما تجده في أطوائها من برهان داخلي هو أقوى وأثبت من المشهود المحسوس! ذلك حين يحكي السياق عن إبراهيم عليه السلام بعد اهتدائه إلى ربه الحق ، واطمئنانه إلى ما وجده في قلبه منه:{وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ... فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ }(الأنعام: ٨٠-٨٢)"[1].

ويلاحظ أنّ: ١- الذي دلّ إبراهيم- عليه السلام- على الرؤية ومكنه منها هو الله سبحانه وتعالى، ولذلك لم تكن رؤية طبيعية، فأراهُ ملكوت السماوات والأرض وكانت النتيجة بلام العلة:{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ}(الأنعام:٧٥)، ولذلك جادل مع المشركين أكثر من مرة ووفقه ربه فيها جميعاً،قال تعالى:{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}(الأنعام: ١٢٠)

(١) – في ظلال القرآن/ سيد قطب إبراهيم، طبعة دار الشروق،: (٣/ ٨٥).

٢- أنّ أدلة الليل أكثر (دخول الليل عليه، والكوكب، والقمر)، أمّا أدلة النهار فكانت واحدة، كما في الآيات (الشمس).

المطلب الثاني: ومقتضى الحال في:" مناظرة سيدنا إبراهيم- عليه السلام- لقومه وبيانه لهم أن هذه الأجرام المشاهدة من الكواكب النيرة لا تصلح للألوهية، ولا أن تعبد مع الله- عزوجل-، لأنها مخلوقة مربوبة مصنوعة مدبرة مسخرة، تطلع تارة وتأفل أخرى، فتغيب عن هذا العالم والرب تعالى لا يغيب عنه شئ ولا تخفى عليه خافية، بل هو الدائم الباقي بلا زوال لا إله إلا هو ولا رب سواه فبين لهم أولا عدم صلاحية الكواكب"(١).

قال الرازي: " عَطْفٌ عَلَى الْجُمَلِ السَّابِقَةِ .. الْمُشْتَمِلَةِ عَلَى الْحُجَجِ وَالْمُجَادِلَةِ فِي شَأْنِ إِثْبَاتِ التَّوْحِيدِ وَإِبْطَالِ الشِّرْكِ، فَعُقِّبَتْ تِلْكَ الْحُجَجُ بِشَاهِدٍ مِنْ أَحْوَالِ الْأَنْبِيَاءِ بِذِكْرِ مُجَادَلَةِ أَوَّلِ رَسُولٍ أَعْلَنَ التَّوْحِيدَ وَنَاظَرَ فِي إِبْطَالِ الشِّرْكِ بِالْحُجَّةِ الدَّامِغَةِ وَالْمُنَاظَرَةِ السَّاطِعَةِ، وَلِأَنَّهَا أَعْدَلُ حُجَّةٍ فِي تَارِيخِ الدِّينِ إِذْ كَانَتْ مُجَادَلَةَ رَسُولٍ لِأَبِيهِ وَلِقَوْمِهِ، وَكَانَتْ أَكْبَرَ حُجَّةٍ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَرَبِ بِأَنَّ أَبَاهُمْ لَمْ يَكُنْ مُشْرِكًا وَلَا مُقِرًّا لِلشِّرْكِ فِي قَوْمِهِ، وَأَعْظَمُ حجّة للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُمْ بِالْإِقْلَاعِ عَنِ الشِّرْكِ"(٢). و كثيراً ما " يَحْتَجُّ سبحانه عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ بِأَحْوَالِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَعْتَرِفُ بِفَضْلِهِ جَمِيعُ الطَّوَائِفِ وَالْمِلَلِ فَالْمُشْرِكُونَ كَانُوا مُعْتَرِفِينَ بِفَضْلِهِ مُقِرِّينَ بِأَنَّهُمْ مِنْ أَوْلَادِهِ، وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالْمُسْلِمُونَ كُلُّهُمْ مُعَظِّمُونَ لَهُ مُعْتَرِفُونَ بِجَلَالَةِ قَدْرِهِ. فَلَا جَرَمَ ذَكَرَ اللَّه حِكَايَةَ حَالِهِ فِي مَعْرِضِ الِاحْتِجَاجِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ"(٣).

المطلب الثالث: والحكمة من ابتداء سيدنا إبراهيم- عليه السلام- الحوار مع قومه بالليل، رغم أنّ الواضح من الآيات أنْ الوقت لم يكن بالليل، بل انتظر حتى جنّ عليه الليل، أمورٌ منها:-

---

(١) – البداية والنهاية: (١/ ١٦٤).

(٢) – التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»/ الطاهر بن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ هـ، (٣١٠/٧).

(٣) – مفاتيح الغيب = التفسير الكبير/ فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثالثة - ١٤٢٠ هـ.(١٣/ ٢٩).

أ/ لعل سيدنا إبراهيم- عليه السلام- أراد أن يأخذهم في الحوار من الأدنى إلى الأعلى ليكون ذلك أوقع في النفس، وأمكن في الاستدلال، وأدعى إلى الإلزام، كما في مناظرته- عليه السلام- مع النمرود، في قوله تعالى:{ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}(٢٥٨).

ب/ إنّ الحجة في الليل أدمغ وأقطع، وقت احتياج الخلق إلى المعين في الظلمة والضعف وقلة النصير.

ج/ وقت صفاء السماء، وهدوء الكون من حولك، وهذا أدعى للتفكر والاعتبار، وقد أكرم الله بعض عباده في ظلمات الليل، كما حدث –حبيبنا- صلى الله عليه وسلم- من انشقاق القمر، وإيمان الجنّ به، وخرج إلى الغار ليلا وكان أكثر أسفاره ليلا، كذا نجاة سيدنا لوطٌ- عليه السلام- قال تعالى:{فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ}(هود:٨١).

٣- الفرع الثالث: قصة سيدنا لوطٌ- عليه السلام- كما في قوله تعالى:{ قَالُوا يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ}(هود:٨١). وقوله سبحانه:{ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ}(الحجر:٦٥).

المطلب الأول: مناسبة قصة سيدنا لوطٌ- عليه السلام- لموضوع سورة هود:" لما انقضت قصة صالح- عليه السلام- على هذا الوجه الرائع، أتبعها قصة لوط- عليه السلام- إذ كانت أشهر الوقائع بعدها وهي أفظع منها وأروع، وقدم عليها ما يتعلق بها من أمر إبراهيم- عليها لسلام- ذكر بشراه..، إشارة إلى تمام القدرة وكمال العلم المبني عليه أمر السورة في إحكام الكتاب وتفصيله، وتناسب جدالي نوح وإبراهيم- عليهما السلام- في أن كلاً منهما شفقة على الكافرين ورجاء لنجاتهم من العذاب بحسن المثاب"[1]. "وفي قصتي إبراهيم ولوط هنا يتحقق

(١) – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ البقاعي: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر٨٨٥هـ، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، (٣٢٨/٩).

وعد الله بطرفيه لنوح:{قِيلَ يَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ}(هود:٤٨)، وقد كانت البركات في إبراهيم وعقبه من ولديه : إسحاق وأبنائه أنبياء بني إسرائيل، وإسماعيل ومن نسله خاتم الأنبياء المرسلين"[١]. وذلك في معرض سورتي: هود والحجر، العنوان البارز في السورتين هو عرض قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم ونهاية المكذبين، تسلية للنبي- صلى الله عليه وسلم- ونصرة للحق على الباطل.

ويلاحظ أنّ : ١- أنّ السورتين مكيتين: أي في وقت شدة وقوة قريش على النبي- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، وصعوبة الأمر وقلة الأمل.

٢- أنه في الحجر زاد في أسلوب التحذير قوله تعالى:{وَاتَّبِعْ أَدْبارَهُمْ}، على معنى:" اتَّبِعْ آثَارَ بَنَاتِكَ وَأَهْلِكَ. وَقَوْلُهُ:{وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ}، والسبب في ذلك أَشْيَاءُ: أَحَدُهَا: لِئَلَّا يَتَخَلَّفَ مِنْكُمْ أَحَدٌ فينا له الْعَذَابُ. وَثَانِيهَا: لِئَلَّا يَرَى عَظِيمَ مَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ. وَثَالِثُهَا: مَعْنَاهُ الْإِسْرَاعُ وَتَرْكُ الِاهْتِمَامِ لِمَا خَلَّفَ وَرَاءَهُ كَمَا تَقُولُ: امْضِ لِشَأْنِكَ وَلَا تُعَرِّجْ عَلَى شَيْءٍ. وَرَابِعُهَا: لَوْ بَقِيَ مِنْهُ مَتَاعٌ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، فَلَا يَرْجِعَنَّ بِسَبَبِهِ أَلْبَتَّةَ"[٢].

٣- وكذلك زاد في سورة الحجر قوله تعالى:{وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ} (الحجر:٦٦). بمعنى: استأصلهم والقضاء عليهم وعلى عقبهم. والحمد لله الذي يقطع دابر الظالمين.

المطلب الثاني: ومقتضى الحال لسيدنا لوطٌ- عليه السلام- مع قومه:" عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط فأتوها نصف النهار فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها، فقالوا لها: يا جارية هل من منزل قالت نعم فمكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم فرقت عليهم من قومها فأتت أباها فقالت: يا أبتاه أرادك فتيان على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم هي أحسن منهم لا يأخذهم قومك فيفضحوهم. وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجلا فقالوا له: خل

(١) – في ظلال القرآن/ سيد قطب إبراهيم، (٢٥٣/٤).

(٢) – مفاتيح الغيب = التفسير الكبير/ فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثالثة - ١٤٢٠ هـ.(١٩/ ١٥٤).

عنا فلنضف الرجال. فجاء بهم فلم يعلم أحد إلا أهل بيت لوط، فخرجت امرأته فأخبرت قومها فقالت: إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثلهم ومثل وجوههم حسنا قط. فجاءه قومه يهرعون إليه، قال أبو جعفر: قال لوط لهم: لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد. فوجد عليه الرسل وقالوا: إن ركنك لشديد. فلما يئس لوط من إجابتهم إياه إلى شيء مما دعاهم إليه وضاق بهم ذرعا، قالت الرسل له حينئذ: يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم. فذكر أن لوطا لما علم أن أضيافه رسل الله وأنها أرسلت بهلاك قومه، قال لهم: أهلكوهم الساعة. فقال جبرئيل- عليه السلام-: إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب. فأنزلت على لوط: أليس الصبح بقريب. قال: وأمره أن يسري بأهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحد إلا امرأته. قال فسار فلما كانت الساعة التي أهلكوا فيها أدخل جبرئيل جناحه في أرضهم فقلعها ورفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب فجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل، قال وسمعت امرأة لوط الهدة فقالت واقوماه فأدركها حجر فقتلها"[1]. فالمقتضى يشرح عقوبة المعصية، وكيفية النجاة من عقوبة الله سبحانه وتعالى، ويبين:" أن الجسارة على الزّلة وخيمة العاقبة- ولو بعد حين، ولا ينفع المرء اتصاله بالأنبياء والأولياء إذا كان فى الحكم والقضاء من جملة الأشقياء ..، وأنّ سُنَّةُ الله في عباده قلبُ الأحوال عليهم ، وإنَّ مَنْ عاش في السرور دهراً ثم تبدل يُسْرُه عُسْراً فَكَمَنْ لم يَرَ قطُّ خيراً ، والذي قاسَى طولَ عمره ثم أُعطِي يُسْراً فكمن لم يَرَ عُسْراً، ثمّ ذكر سبحانه ما نالهم من العقوبة على عصيانهم ، ثم أخبر أنَّ تلك العقوبةَ لاحقةٌ بمن سَلَكَ سبيلَهم تحذيراً لمن لم يعتبر بهم إذا عرف طريقَهم "[2].

المطلب الثالث: وفي حكمة الله من سير سيدنا لوطٌ- عليه السلام- ليلاً: آية بينة من أمر الملائكة سيدنا لوطٍ- عليه السلام- أن يسير بأهله في قطع من الليل، وفي سورة القمر ذكر الوقت تحديداً، فقال سبحانه:{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا

(١) – تاريخ الأمم والملوك/ الطبري أبو جعفر، محمد بن جرير، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧.(١/ ١٧٩- ١٨٠).

(٢) – لطائف الإشارات = تفسير القشيري/ القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق/ إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الثالثة، (١٤٩/٣).

آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ * نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ}(القمر:٣٤-٣٥).وذلك لما يلي:

أ/ قال الرازي:" يُرِيدُ اخْرُجُوا لَيْلًا لِتَسْبِقُوا نُزُولَ الْعَذَابِ الَّذِي مَوْعِدُهُ الصُّبْحُ"(١). "وَذَكَرَ بِسَحَرٍ، أَيْ فِي وَقْتِ السَّحَرِ لِلْإِشَارَةِ إِلَى إِنْجَائِهِمْ قُبَيْلَ حُلُولِ الْعَذَابِ بِقَوْمِهِمْ لِقَوْلِهِ بَعْدَهُ:{وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذابٌ مُسْتَقِرٌّ}(القمر:٣٨).

ب/ وَجُمْلَةُ:{كَذلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ}، مُعْتَرِضَةٌ، وَهِيَ اسْتِئْنَافٌ بَيَانِيٌّ عَنْ جُمْلَةِ نَجَّيْناهُمْ بِسَحَرٍ، فَفِيهِ إِيمَاءٌ بِأَنَّ إِهْلَاكَ غَيْرِهِمْ لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا، وَهَذَا تَعْرِيضٌ بِإِنْذَارِ الْمُشْرِكِينَ وَبِشَارَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ"(٢).

ج/ كأني ألمس حكمة عظيمة في كل الآيات: أن فرج الله لعباده من الشدائد، وتوبته عليهم، والنصر ونزول الخير عليهم يكون في جوف الليل، خصوصاً وقت السحر، وما وقوع الإسراء والمعراج للنبي- صلى الله عليه وسلم-، وتوبة الله على الذين تخلفوا عن غزوة تبوك عنا ببعيد، وكذا لقاء موسى- عليه السلام مع ربه ونزول التوراة عليه، ومن قبل لقاء ربه أول الرسالة بالوادي المقدس، ونجاته- عليه السلام من فرعون،.. .

د/ ويمكن القول بأنّ في ذلك تطمين لسيدنا لوط- عليه السلام- حتى لا يراه أحد من القوم الظالمين.

٤- الفرع الرابع: قصة سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- كما في قوله تعالى:{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}(الإسراء:١).

المطلب الأول: مناسبة حادثة الإسراء لموضوع سورة الإسراء: يتجلّى ذلك واضحاً في مقصد السورة الكريمة:" بِإِثْبَاتِ نبوة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَإِثْبَاتِ أَنَّ الْقُرْآنَ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ. وَرَدِّ مَطَاعِنِ الْمُشْرِكِينَ فِيهِ وَفِيمَنْ جَاءَ بِهِ،

(١) – مفاتيح الغيب = التفسير الكبير/ فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثالثة - ١٤٢٠ هـ.(١٨/ ٣٨١).

(٢) – التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»/ الطاهر بن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ هـ، (٢٠٤/٢٧).

وَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْقَهُوهُ فَلِذَلِكَ أَعْرَضُوا عَنْهُ. وَإِبْطَالُ إِحَالَتِهِمْ أَن يكون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسرِيَ بِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى. فَافْتُتِحَتْ بِمُعْجِزَةِ الْإِسْرَاءِ تَوْطِئَةً لِلتَّنْظِيرِ بَيْنَ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ وَشَرِيعَةِ مُوسَى- عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- عَلَى عَادَةِ الْقُرْآنِ فِي ذِكْرِ الْمُثُلِ وَالنَّظَائِرِ الدِّينِيَّة، ورمزا إِلَيْهَا إِلَى أَنَّ اللَّهَ أعْطى مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْفَضَائِلِ أَفْضَلَ مِمَّا أَعْطَى مَنْ قَبْلَهُ"(١).

ويلاحظ أنّ: ١- الحق سبحانه وتعالى صدر السورة بهذا المطلع ليفحم قريش ويحرجهم في إنكارهم النبوة: (بعبده)، وإنكارهم القرآن: (آياتنا)، وإنكارهم : الإسراء: (بعبده)، وذلك كله في سورة مقصدها الأساسي هو إثبات النبوة والقرآن والرسالة.

٢- متابعة حادثة الإسراء بالحديث عن فساد بني إسرائيل وعلوهم:{ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا}، إشارة إلى أنّهم مهما علو فإنّ الحق غالب، ودين الإسلام هو المنتصر، وبيت المقدس للمسلمين ملك للمسلمين، قال تعالى:{ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ}، فعاقبة المكذبين إلى زوال،{وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(الأنفال: ١٠).

المطلب الثاني: ومقتضى الحال لحادثة الإسراء: ما ذكره العلماء في أسباب رحلة الإسراء والمعراج،:" فقد كان وجود أبي طالب بجانب رسول الله سياجاً واقياً لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - يمنع عنه أذى قريش. وكانت خديجة زوجة رسول الله البلسم الشافي لما يصيب رسول الله من الجراح النفسية التي يلحقها به المشركون. وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى الطائف -بعد ما اشتد عليه آذى قريش، فما كان جوابهم إلا أن ردوه أقبح رد، ولم يكتفوا بذلك، بل أرسلوا الى قريش رسولاً يخبرهم بما جاء به محمد، فتجهمت له قريش وضمرت له الشر، فزادت حزنه وهمه، حتى أراد الله أن يتيح لرسوله فرصة الاطلاع على المظاهر الكبرى لقدرته حتى يملأ قلبه ثقة فيه وإستناداً إليه حتى يزداد قوة في مهاجمة سلطان الكفار القائم في الأرض، وتوطئة للهجرة ولأعظم

(١) – التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»/ الطاهر بن عاشور التونسي، محمد الطاهر بن محمد ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ هـ، (٧/١٥).

مواجهة على مدى التاريخ للكفر والضلال والفسوق، كما حدث لموسى عليه السلام"[١].

المطلب الثالث: والحكم من وقوع حادثة الإسراء والمعراج ليلاً كثيرة: فغير خافٍ على طالب علمٍ فضل حادثة الإسراء والمعراج على أمة الإسلام، وأثرها النفسي على النبي محمد- صلى الله عليه وسلم-، ولكن التخصيص في الليل للرحلة المباركة، والتصريح بها في الآية الكريمة مرتين، لأن الليل:

١- « وقت الخلوة والاختصاص عرفا، ولأنه وقت الصلاة التي كانت مفروضة عليه في قوله تعالى:{قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا}(المزمل: ٢)، والليل وقت الاجتهاد للعبادة. وكان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تورّمت قدماه. وكان قيام الليل في حقّه واجبا، فلما كانت عبادته ليلا أكرم بالإسراء فيه ليكون أجر المصدّق به أكثر. وصحّ أنه صلى الله عليه وسلم قال: «ينزل ربّنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث اللّيل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له»[٢]، قال تعالى:{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرادَ شُكُوراً} (الفرقان:٦٢)، وهذه الخصيصة لم تجعل للنهار.

٢- ولما في ذلك الوقت من الليل من سعة الرحمة ومضاعفة الأجر وتعجيل الإجابة، ولإبطال كلام الفلاسفة أن الظّلمة من شأنها الإهانة والشّرّ.

٣- وقد كرم الله نبينا صلى الله عليه وسلم ليلا بأمور منها: انشقاق القمر، وإيمان الجنّ به، وخرج إلى الغار ليلا وكان أكثر أسفاره ليلا، وقد أكرم الله أقواما في الليل بأنواع الكرامات كقوله في قصة إبراهيم صلى الله عليه وسلم:{فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ}(الأنعام:٧٦). وفي لفظ بقوله:{فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ}(هود:٨١).

---

(١) – السيرة النبوية دروس وعبر/ الصلابي، علي محمد محمد ،(٤/ ٢٠٤).

(٢) – الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري/ البخاري الجعفي، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الأولى، ١٤٢٢هـ، (٧١/٨ رقم ٦٣٢١).

٤- ليكون أبلغ للمؤمن في الإيمان بالغيب، وفتنة للكافر، وليدخل فيمن آمن بالغيب دون من عاينه نهارا» [١]. قال الشيخ القشيري:" ويقال جعل المعراج بالليل عند غفلة الرّقباء وغيبة الأجانب، ومن غير ميعاد، ومن غير تقديم أهبة واستعداد، ... وليظهر تصديق من صدّق، وتكذيب من تعجّب وكذّب أو أنكر وجحد. ويقال لما كان تعبّده صلى الله عليه وسلم وتهجّده بالليل جعل الحقّ سبحانه المعراج بالليل"[٢].

٥- إنّ أكثر وقع الإيذاء على النفس، ويشتد إيلامها، في جوف الليل، حين يأوي الإنسان إلى منامه، ويخلد إلى فراشه وحيداً، وقتها يتذكر ما حدث له فتفيض عينه، ويحتاج إلى ما يخفف عنه، ويطيب خاطره، وهكذا كانت الأحداث قبل الإسراء والمعراج من وفاة أبي طالب، ثمّ وفاة السيدة خديجة، ثمّ رحلة الطائف، فكانت عناية الله في هذه الرحلة بمثابة تطيباً للخاطر ومسحاً لألمه- صلى الله عليه وسلم-، وكأنّ الله يخاطبه: إنْ كانت الأرض ضاقت عليك فلا تحزن فإنّ فرج الله في السماء كبير.

٥- الفرع الخامس: قصة سيدنا زكريا- عليه السلام- كما في قوله تعالى:{ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا}(مريم: ١٠).

المطلب الأول: مناسبة قصة سيدنا زكريا- عليه السلام- لموضوع سورة مريم:" إنه فيض الكرم الإلهي يغدقه على عبده الذي دعاه في ضراعة، وناجاه في خفية، وكشف له عما يخشى، وتوجه إليه فيما يرجو، والذي دفعه إلى دعاء ربه خوفه الموالي من بعده على تراث العقيدة وعلى تدبير المال والقيام على الأهل بما يرضي الله، وعلم الله ذلك من نيته فأغدق عليه وأرضاه، وذلك في سياق

(١) – سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد/ الصالحي الشامي، محمد بن يوسف (المتوفى: ٩٤٢هـ) تحقيق وتعليق/ الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م،(١٥/٣).

(٢) – لطائف الإشارات = تفسير القشيري/ القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق/ إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الثالثة، (٣٣٤/٢).

السورة الذي يدور على محور التوحيد، ونفي الولد والشريك، ويلم بقضية البعث القائمة على قضية التوحيد"[١].

ويلاحظ أنّ: ١- السورة بدأت مباشرة بعرض أحداث القصة بعد الأحرف المقطعة ليدل على أهميتها.

٢- النداء الخفي لرب العالمين، وبثّ الشكوى إليه، وحسن الظنّ به سبحانه- رغم صعوبة الطلب أو قل استحالته- أنزل بعبده الرحمة، وقضى له أمره، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ اللَّهُ: " أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي"[٢]. قال تعالى:{ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا}(مريم: ٤).

٣- السؤال مباشرة لربِّ العزة رغم أنّ البشارة كانت من الملائكة، فلم يجعل بينه وبين الله واسطة حتى ولو كانت الملائكة.

المطلب الثاني: ومقتضى الحال لقصة سيدنا زكريا- عليه السلام-:" أَنَّ زَكَرِيَّا، وَعِمْرَانَ، كَانَا فِي عَصْرٍ وَاحِدٍ، وَقَدْ تَزَوَّجَ زَكَرِيَّا بِابْنَتِهِ إِيشَاعَ أُخْتِ مَرْيَمَ، وَكَانَ يَحْيَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ابْنَيْ خَالَةٍ، وإنّ امرأة عمران كَانَتْ عَاقِرًا لَا تَلِدُ، وَكَانَتْ تَغْبِطُ النِّسَاءَ بِالْأَوْلَادِ، ثُمَّ قَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ نَذْرًا إِنْ رَزَقْتَنِي وَلَدًا أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ لِيَكُونَ مِنْ سَدَنَتِهِ. فحملت وكان الحمل أنثى، فلما وَلَدَتْ مَرْيَمَ لَفَّتْهَا فِي خِرْقَةٍ وَحَمَلَتْهَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَوَضَعَتْهَا عِنْدَ الْأَحْبَارِ فَتَنَافَسُوا فِيهَا لِأَنَّهَا كَانَتْ بِنْتَ إِمَامِهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ زَكَرِيَّا: أَنَا أَحَقُّ بِهَا عِنْدِي خَالَتُهَا فَقَالُوا لَا حَتَّى نَقْتَرِعَ عَلَيْهَا، فَانْطَلَقُوا وَكَانُوا سَبْعَةً وَعِشْرِينَ إِلَى نَهْرٍ فَأَلْقَوْا فِيهِ أَقْلَامَهُمُ الَّتِي كَانُوا يَكْتُبُونَ الْوَحْيَ بِهَا عَلَى أَنَّ كُلَّ مَنِ ارْتَفَعَ قَلَمُهُ فَهُوَ الرَّاجِحُ، ثُمَّ أَلْقَوْا

---

(١) – في ظلال القرآن/ سيد قطب إبراهيم: (٥/ ٨٧).

(٢) – الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري/ البخاري الجعفي: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الأولى، ١٤٢٢هـ.(٩/ ١٤٥ رقم ٧٥٠٥)، كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ}(الفتح: ١٥).
المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم/ القشيري النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن٢٦١هـ) تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (٧/ ١٩ رقم ٢٠٦٧)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار، ٦ - بَابُ فَضْلِ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

أَقْلَامَهُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ يَرْتَفِعُ قَلَمُ زَكَرِيَّا فَوْقَ الْمَاءِ وَتَرْسُبُ أَقْلَامُهُمْ فأخذها زكريا. وَكَفَّلَها زَكَرِيَّا كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً قالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، هُنالِكَ دَعا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً وَالْقُرْآنُ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ آيِسًا مِنَ الْوَلَدِ بِسَبَبِ شَيْخُوخَتِهِ وَشَيْخُوخَةِ زَوْجَتِهِ، فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين، فلما بشر بالولد وتحقق البشارة شرع يستعلم على وجه التعجب وجود الولد والحالة هذه له، قال رب اجعل لي آية: أي علامة على وقت تعلق مني المرأة بهذا الولد المبشر به، قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا، يقول علامة ذلك أن يعتريك سكت لا تنطق معه ثلاثة أيام إلا رمزا، وأنت في ذلك سوي الخلق، صحيح المزاج، معتدل البنية. وأمر بكثرة الذكر في هذه الحال بالقلب واستحضار ذلك بفؤاده، بالعشي والابكار فلما بشر بهذه البشارة خرج مسرورا بها على قومه من محرابه فأوحى إليهم أن سبحوه بكرة وعشيا"[1].

المطلب الثالث: الحكمة من جعل علامة سيدنا زكريا- عليه السلام- ثلاث ليالٍ في سورة مريم، وثلاثة أيام في سورة آل عمران:

١-" ذكره هَاهُنَا ثَلَاثَةَ أَيَّام، وَذَكَرَ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ ثلاثة ليالي فَدَلَّ مَجْمُوعُ الْآيَتَيْنِ عَلَى أَنَّ تِلْكَ الْآيَةَ كَانَتْ حَاصِلَةً فِي الْأَيَّامِ الثَّلَاثَةِ مَعَ لَيَالِيهَا"[2]**.وَأَكَّدَ ذَلِكَ هُنَا بِوَصْفِهَا بِ سَوِيًّا أَيْ ثَلَاثَ لَيَالٍ كَامِلَةٍ، أَيْ بِأَيَّامِهَا**[3]**.**

٢- "ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أي متوالية، وقال بعضهم والمراد ثلاثة أيام ولياليها، وقيل: الكلام على حذف مضاف أي ليالي ثلاثة أيام لقوله سبحانه في سورة مريم:{ثَلَاثَ لَيَالٍ}(مريم: ١٠)، والحق أن الآية كانت عدم التكليم ستة أيام، إلا أنه اقتصر تارة على ذكر ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ منها وأخرى على (ثلاث ليال) وجعل ما لم يذكر

---

(١) – مفاتيح الغيب = التفسير الكبير/ فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثالثة - ١٤٢٠ هـ.(٨/ ٢٠٢-٢١٥).البداية والنهاية: (٢/ ٥٧).

(٢) – مفاتيح الغيب = التفسير الكبير/ فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثالثة - ١٤٢٠ هـ.(٨/٢١٥).

(٣) – تفسير التحرير والتنوير/ الطاهر بن عاشور: (١٦/ ٧٣).

في كل تبعا لما ذكر، قيل: وإنما قدم التعبير بالأيام لأن يوم كل ليلة قبلها في حساب الناس يومئذ، وكونه بعدها إنما هو عند العرب خاصة كما تقدمت الإشارة إليه، واعترض بأن- آية الليالي- متقدمة نزولا لأن السورة التي هي فيها مكية والسورة التي فيها- آية الأيام- مدنية، وعليه يكون أول ظهور هذه الآية ليلا ويكون اليوم تبعا لليلة التي قبلها على ما يقتضيه حساب العرب فتدبر"(١).

٣- "{ثَلَاثَ لَيَالٍ} مع أيامها وإنما قيدنا بالأيام؛ لأن الليالي الثلاث قد تكون من يومين، لأن الليل سابق على النهار، فحينئذٍ يحصل التعارض بين ما هنا وبين الآية الأخرى"(٢). وقيل: " المعنى واحد، لأنه تارة يعبر بالليالي، وتارة بالأيام ومؤداها واحد"(٣).

٦- الفرع السادس: قصة سيدنا موسى- عليه السلام- كما في قوله تعالى:{فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ} (الدخان:٢٣). وقوله سبحانه:{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ}(الشعراء:٥٢).

المطلب الأول: ومناسبة قصة سيدنا موسى- عليه السلام- مع فرعون لموضوع سورة الدخان:" بأن جَعَلَ اللَّهُ قِصَّةَ قَوْمِ فِرْعَوْنَ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ مَثَلًا لِحَالِ الْمُشْرِكِينَ مَعَ النبيء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَجَعَلَ مَا حَلَّ بِهِمْ إِنْذَارًا بِمَا سَيَحِلُّ بِالْمُشْرِكِينَ مِنَ الْقَحْطِ وَالْبَطْشَةِ مَعَ تَقْرِيبِ حُصُولِ ذَلِكَ وَإِمْكَانِهِ وَيُسْرِهِ وَإِنْ كَانُوا فِي حَالَةِ قُوَّةٍ فَإِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَيْهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:{ فَأَهْلَكْنا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً}(الزخرف: ٨)، فَذِكْرُهَا هُنَا تَأْيِيدٌ لِلنَّبِي وَوَعْدٌ لَهُ بِالنَّصْرِ وَحُسْنِ الْعَاقِبَةِ، وَتَهْدِيدٌ لِلْمُشْرِكِينَ"(٤). وذلك ضمن موضوعات السورة

(١) – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ الحسيني الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق/ علي عبد الباري عطية
الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، (١٤٥/٢).

(٢) – تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن/ الأرمي العلوي الهرري الشافعي: محمد الأمين بن عبد الله، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، (٩٦/١٧).

(٣) – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق
الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، صـ ٤٩٠.

(٤) – تفسير التحرير والتنوير/ الطاهر بن عاشور: (٢٥/ ٢٩٤).
الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، صـ ٤٩٠.

منها التذكير بعُقُوبَةِ الْمُعَانِدِينَ وَمَثُوبَةِ الْمُؤْمِنِينَ تَرْهِيبًا وَتَرْغِيبًا، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

ويلاحظ أن: ١- الحديث في سورة الدخان اقتصر على قصة موسى وفرعون والحديث مع كفار قريش، والتهديد فيها شديد، والعقوبة واقعة بالمكذبين، قال تعالى:{ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ * فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}(الدخان٩-١١). أمّا سورة الشعراء فذكرت بالتفصيل الحديث عن معظم الأنبياء .

٢- التفصيل في عرض القصة في سورة الشعراء عنه في سورة الدخاء مما يتناسب مع موضوع سورة الشعراء، التى فيها تهديد لقريش بما حدث للأمم السابقة رغم قوتهم، حيث قال ربنا في أول السورة:{ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (الشعراء:٣-٦).

المطلب الثاني: مقتضى الحال لقصة سيدنا موسى- عليه السلام- مع فرعون:"

قال المفسرون وغيرهم من أهل الكتاب استأذن بنو إسرائيل فرعون في الخروج إلى عيد لهم، فأذن لهم وهو كاره، ولكنهم تجهزوا للخروج، وتأهبوا له وإنما كان في نفس الأمر، مكيدة بفرعون وجنوده ليتخلصوا منهم ويخرجوا عنهم وأمرهم الله تعالى فيما ذكره أهل الكتاب أن يستعيروا حليا منهم فأعاروهم شيئا كثيرا، فخرجوا بليل فساروا مستمرين ذاهبين من فورهم طالبين بلاد الشام، فلما علم بذهابهم فرعون حنق عليهم كل الحنق واشتد غضبه عليهم، وشرع في استحثاث جيشه، وجمع جنوده ليلحقهم ويمحقهم، فلحقهم فرعون بالجنود فأدركهم عند شروق الشمس، وتراءى الجمعان ولم يبق ثم ريب ولا لبس وعاين كل من الفريقين صاحبه وتحققه ورآه، ولم يبق إلا المقاتلة والمجاولة والمحاماة، فعندها قال أصحاب موسى وهم خائفون إنا لمدركون، وذلك لانهم اضطروا في طريقهم إلى البحر فليس لهم طريق ولا محيد إلا سلوكه وخوضه، فقال لهم الرسول الصادق المصدوق:{ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ}(الشعراء:٦٢)، وكان في الساقة فتقدم إلى المقدمة ونظر إلى البحر وهو يتلاطم بأمواجه ويتزايد زبد أجاجه وهو يقول: ههنا أمرت ومعه أخوه

هرون ويوشع بن نون، ومعهم أيضا مؤمن آل فرعون وهم وقوف وبنو إسرائيل بكمالهم عليهم عكوف، فلما تفاقم الأمر، وضاق الحال، واشتد الأمر، واقترب فرعون وجنوده في جدهم وحدهم وحديدهم وغضبهم وحنقهم، وزاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، فعند ذلك أوحى الحليم العظيم القدير رب العرش الكريم إلى موسى الكليم:{أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ}(الشعراء:٦٣)، فلما ضربه انفلق اثنتي عشرة طريقا، فأمر موسى عليه السلام أن يجوزه ببني إسرائيل فانحدروا فيه مسرعين، مستبشرين مبادرين، وقد شاهدوا من الأمر العظيم ما يحير الناظرين، ويهدي قلوب المؤمنين، فلما جاوزوه وجاوزه وخرج آخرهم منه، وانفصلوا عنه، كان ذلك عند قدوم أول جيش فرعون إليه ووفودهم عليه، فأراد موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه ليرجع كما كان عليه لئلا يكون لفرعون وجنوده وصول إليه، فناده ربه:{ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا} (الدخان:٢٤)، أي ساكنا على هيئته لا تغيره عن هذه الصفة، فلما تركه على هيئته وحالته وانتهى فرعون فرأى ما رأى وعاين ما عاين، هاله هذا المنظر العظيم، وتحقق ما كان يتحققه قبل ذلك، من أن هذا من فعل رب العرش الكريم فأحجم فاقتحم الجواد البحر فلما رأته الجنود قد سلك البحر، اقتحموا وراءه مسرعين، فحصلوا في البحر أجمعين، حتى هم أولهم بالخروج منه، فعند ذلك أمر الله تعالى كليمه، فيما أوحاه إليه أن يضرب البحر بعصاه فضربه فارتطم عليهم البحر كما كان، فلم ينج منهم إنسان قال الله تعالى:{وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ}(الشعراء:٦٥-٦٧)"[(١)].

فالقصة تتلخص في العبرة كيف نجى الله موسى وجنده من فرعون وجنده، رغم الفارق الكبير بين الفريقين، فالله ناصر دينه ومعلي شأنه شاء من شاء وأبى من أبى، وأمر الله لا يحتاج إلى أسباب،:{ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}(يس:٨٢).

(١) – تاريخ الأمم والملوك/ الطبري أبو جعفر، محمد بن جرير ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧، (١/ ٢٤٢). البداية والنهاية/ ابن كثير: (٣١٣/١-٣١٥). الكامل في التاريخ/ الشيباني: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ، الطبعة: ط٢، تحقيق: عبد الله القاضي، (١/ ١٤٣).

المطلب الثالث: الحكمة من أمر الله لسيدنا موسى- عليه السلام- أن يسري بجنوده ليلاً:

١- {إِنَّكُم مّتَّبِعُونَ}: تعليلٌ للأمرِ بالإسراءِ أي يتبعكُم فرعونُ وجنودُه مصبحينَ فأسرِ بمَن معك حتَّى لا يُدركوكم قبل الوصولِ إلى البحرِ[١].ليحولوا بينكم وبين الخروج من أرضهم، أرض مصر[٢].

٢- "أخرج ببني إسرائيل أول الليل، ليتمادوا ويتمهلوا في ذهابهم"[٣].

٣- " وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ تَأْكِيدُ مَعْنَى الْإِسْرَاءِ بِأَنَّهُ حَقِيقَةٌ وَلَيْسَ مُسْتَعْمَلًا مَجَازًا فِي التَّبْكِيرِ بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْمُتَعَارَفَ فِي الرَّحِيلِ أَنْ يَكُونَ فَجْرًا"[٤].

٤- "فالنص عليه يعيد تصوير المشهد، مشهد السرى بعباد الله وهم بنو إسرائيل. ثم للإيحاء بجو الخفية، لأن سراهم كان خفية عن عيون فرعون ومن وراء علمه. فالله تعالى دائماً يسري بعباده إلى مراده- سبحانه- ليلاً، فهنيئاً لمن كان أهل التهجد[٥].

(١) – تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ أبو السعود العمادي : محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (٢٤٤/٦).

(٢) – جامع البيان في تأويل القرآن/ أبو جعفر الطبري: محمد بن جرير(المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الأولى١٤٢٠هـ، (١٩:٣٥٠).

(٣) – تفسير السعدي: صـ ٥٩١.

(٤) – تفسير التحرير والتنوير: (٢٩/ ٢٩٩).

(٥) – في ظلال القرآن/ سيد قطب إبراهيم، دار الشروق، (٦/ ٣٨٩).

المبحث الثالث: الجوانب الهدائية للآيات:

المطلب الأول: تعريف التفسير الهدائي وموقف المفسرين منه:

الهدى في اللغة: (هَدَيَ): الْهَاءُ وَالدَّالُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: أَصْلَانِ أَحَدُهُمَا التَّقَدُّمُ لِلْإِرْشَادِ، .. فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: هَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ هِدَايَةً، أَيْ تَقَدَّمْتُهُ لِأُرْشِدَهُ"[١].

(الهُدَى): بِضَم الهاءِ وفَتْحِ الدَّالِ- ضَبَطَه هَذَا لأنَّه من أوْزانِه المَشْهورَةِ-: الرَّشادُ والدَّلالَةُ بلُطْفٍ إِلَى مَا يُوصِل إِلَى المَطْلوبِ. هَداهُ اللهُ للدِّيْن، يَهْدِيه، هُدًى، وهَدْياً، وهِدايَةً، وهِدْيَةً، بكسرهما: أَي أَرْشَدَهُ[٢]. يقال:" هَدَى الحائرَ: أرشده ودلَّه، وفَّقه، عكسه أضلّه: {وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى}، هدَى هَدْيَ فلانٍ: سار سيرَه، استرشد به، قال- صلى الله عليه وسلم-:(وَاهْدُوا بِهَدْيِ عَمَّار) [٣]"[٤]. فمن معاني الهدى: الإرشاد والدلالة، وزيد- بلطف إلى ما يوصل إلى المطلوب.

الهداية في الإصطلاح: الْإِرْشَادُ إِلَى النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، لِأَنَّ الْهِدَايَةَ الْمَخْصُوصَةَ بِالْأَنْبِيَاءِ لَيْسَتْ إِلَّا ذَلِكَ[٥]. وهداية القرآن لا تخرج عن هذا. وبنفس التعريف قيل: قيل: هي الإرشاد إلى الخيرات قولاً وفعلاً[٦]. وزيد على التعريف: هي البيان

---

(١) – معجم مقاييس اللغة/ القزويني الرازي: أحمد بن فارس بن زكرياء ، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. (٦/ ٤٢). مادة هدى.

(٢) – تاج العروس من جواهر القاموس/ الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق/ مجموعة من المحققين، دار الهداية (٤٠/ ٢٨٤) مادة هدى.

(٣) – الجامع الكبير - سنن الترمذي/ الترمذي، أبو عيسى: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف
الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨م، (١٤٩/٦ رقم ٣٨٠٥)، كتاب أبواب المناقب، ٣٨ - بَابُ مَنَاقِبِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الترمذي: غريب، وقال الألباني: صحيح. المستدرك على الصحيحين/ الطهماني النيسابوري: الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤١١ه.(٧٩//٣ رقم٤٤٥١)، كتاب معرفة الصحابة، «أَمَّا حَدِيثُ ضَمْرَةَ وَأَبُو طَلْحَةَ»، قال الذهبي: صحيح.

(٤) – معجم اللغة العربية المعاصرة/ د عبد الحميد عمر، أحمد مختار ١٤٢٤هـ، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م(٣/ ٢٣٣٦).

(٥) – مفاتيح الغيب/ الفخر الرازي:(٥٣/١٣)، وذلك عند تفسير قوله تعالى: { ... كُلًّا هَدَيْنَا..} هَدَيْنَا..} ٨٤: الإنعام.

(٦) – تفسير الراغب الأصفهاني/ الراغب الأصفهانى: أبو القاسم الحسين بن محمد (المتوفى: (المتوفى: ٥٠٢هـ)، جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة تحقيق ودراسة: د. محمد عبد

والإرشاد، سواء اهتدى من ترشده أم لم يهتد[١].ويمكن أن أقول أنّ أجمع تعريف لبعض معاني الهداية: الإرشاد بلطف إلى مراد الله سواء قبل أم لم يقبل، ولذلك قال صاحب التحرير والتنوير، الهداية هي: مُرَادُ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ النَّاسِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَتْرُكْهُمْ فِي ضَلَالِهِمْ، فَمَنِ اهْتَدَى فَبِإِرْشَادِ اللَّهِ وَمَنْ ضَلَّ فَبِإِيثَارِ الضال هوى نَفسه عَلَى دَلَائِلِ الْإِرْشَادِ[٢].

وَالتَّفْسِيرُ الهدائي هُوَ: فَهْمُ الْكِتَابِ مِنْ حَيْثُ هُوَ دِينٌ يُرْشِدُ النَّاسَ إِلَى مَا فِيهِ سَعَادَتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا وَحَيَاتِهِمُ الْآخِرَةِ، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْمَقْصِدُ الْأَعْلَى مِنْهُ، وَمَا وَرَاءَ هَذَا مِنَ الْمَبَاحِثِ تَابِعٌ لَهُ وَأَدَاةٌ أَوْ وَسِيلَةٌ لِتَحْصِيلِهِ[٣].

وموقف المفسرين من التفسير الهدائي: يختلف عنه في القديم عن الحديث، فأمّا القديم كانت تظهر فيه بعض الإستنباطات الهدائية دون العنوان لها، لأنها لم تكن المقصد من تفسيرهم، وعلى سبيل المثال:

١- قال القشيري في تفسير قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا}(مريم:١٠). "وجعل آية ولايته في إمساك لسانه عن المخلوقين مع انطلاقها مع الله بالتسبيح ، أي لا تمتنع عن خطابي فإني لا أمنع أوليائي من مناجاتي"[٤].

٢- قال أبو السعود في تفسير قوله تعالى:{ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ} (الدخان:٢٣). {إِنَّكُم مّتَّبِعُونَ}: تعليلٌ للأمرِ بالإسراءِ أي يتبعكُم فرعونُ وجنودُه مصبحينَ فأسرِ بمَن معك حتَّى لا يُدركوكم قبل الوصولِ إلى البحرِ[٥].

العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م: (١/ ٦٠).

(١) – التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م)، (١/ ٢١).

(٢) – تفسير التحرير والتنوير: (١٣/ ١٨٠)..

(٣) – تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)/ القلموني الحسيني: محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المقدمة: (١٧/١)، سنة النشر:١٩٩٠م، (١/ ١٧).

(٤) – لطائف الإشارات/ القشيري: (٣١١/١).

(٥) – تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ أبو السعود العمادي : محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (٢٤٤/٦).

٣- قال الرازي في تفسير قوله تعالى:{ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ}(هود:٨١)، " يُرِيدُ اخْرُجُوا لَيْلًا لِتَسْبِقُوا نُزُولَ الْعَذَابِ الَّذِي مَوْعِدُهُ الصُّبْحُ"(١).

٤- قال الشيخ القشيري في تفسير قوله تعالى:{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا}(الإسراء:١).:"ويقال جعل المعراج بالليل عند غفلة الرّقباء وغيبة الأجانب، ومن غير ميعاد، ومن غير تقديم أهبة واستعداد، ... وليظهر تصديق من صدّق، وتكذيب من تعجّب وكذّب أو أنكر وجحد. ويقال لما كان تعبّده صلى الله عليه وسلم وتهجّده بالليل جعل الحقّ سبحانه المعراج بالليل"(٢).

٥- قال الألوسي في تفسير قوله تعالى:{ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}(البقرة:٥١):" عبّر عن ذلك الوقت بالليالي دون الأيام لأن افتتاح الميقات كان من الليل، أو إشارة إلى مواصلة الصوم ليلا ونهارا، ولو كان التفسير باليوم أمكن أن يعتقد أنه كان يفطر بالليل فلما نص على الليالي فهم من قوة الكلام أنه واصل أربعين ليلة بأيامها، وقد يقال من طريق الإشارة: إن ذكر الليلة للرمز إلى أن هذه المواعدة كانت بعد تمام السير إلى الله تعالى ومجاوزة بحر العوائق والعلائق، وهناك يكون السير في الله تعالى الذي لا تدرك حقيقته، ولا تعلم هويته، ولا يرى في بيداء جبروته إلا الدهشة والحيرة "(٣).

أمّا في العصر الحديث وضح ذلك في بعض التفسير وأفردوا له عناوين خاصة، بل جعله بعضهم هو المقصد الأساسي من تفسير القرآن الكريم، كما ذكر ذلك صاحب تفسير المنار في مقدمته، ورائد هذه الطريقة هو صاحب التحرير والتنوير ثمّ تبعه بعد ذلك بعض المفسيرين، كا تفسير: المنار، والظلال، وتفسير فتحُ البيان في مقاصد القرآن، والأساس في التفسير ... .

---

(١) – مفاتيح الغيب = التفسير الكبير/ فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثالثة - ١٤٢٠ هـ.(١٨/ ٣٨١).

(٢) – لطائف الإشارات = تفسير القشيري/ القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق/ إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الثالثة، (٣٣٤/٢).

(٣) – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق/ علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤١٥ هـ ، (٢٥٩/١).

المطلب الثاني: الجانب الهدائي للآيات: إنّ مدارسة الآيات القرآنية مدارسة هدائية هو الهدف الساسي من نزول القرآن لكي نتخلق بأخلاقه، ونعمل بما فيه، ولذا قالت السيدة عائشة- رضى الله عنها- عن النبي- صلى الله عليه وسلم- :«كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»(١). قال صاحب تفسير المنار: والتفسير نوعاً، الثاني منها: "وَهُوَ ذَهَابُ الْمُفَسِّرِ إِلَى فَهْمِ الْمُرَادِ مِنَ الْقَوْلِ، وَحِكْمَةِ التَّشْرِيعِ فِي الْعَقَائِدِ وَالْأَحْكَامِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَجْذِبُ الْأَرْوَاحَ، وَيَسُوقُهَا إِلَى الْعَمَلِ وَالْهِدَايَةِ الْمُودَعَةِ فِي الْكَلَامِ، لِيَتَحَقَّقَ فِيهِ مَعْنَى قَوْلِهِ: (هُدًى وَرَحْمَةً) وَنَحْوِهِمَا مِنَ الْأَوْصَافِ. فَالْمَقْصِدُ الْحَقِيقِيُّ وَرَاءَ كُلِّ تِلْكَ الشُّرُوطِ وَالْفُنُونِ هُوَ الِاهْتِدَاءُ بِالْقُرْآنِ.

قَالَ الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ: وَهَذَا هُوَ الْغَرَضُ الَّذِي أَرْمِي إِلَيْهِ فِي قِرَاءَةِ التَّفْسِيرِ... وَإِنَّنَا نَعْتَقِدُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ مَا ضَعُفُوا وَزَالَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الْمُلْكِ الْوَاسِعِ إِلَّا بِإِعْرَاضِهِمْ عَنْ هِدَايَةِ الْقُرْآنِ، وَأَنَّهُ لَا يَعُودُ إِلَيْهِمْ بِشَيْءٍ مِمَّا فَقَدُوا مِنَ الْعِزِّ وَالسِّيَادَةِ وَالْكَرَامَةِ إِلَّا بِالرُّجُوعِ إِلَى هِدَايَتِهِ، وَالِاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ"(٢). نسأل الله عظيم الفتح.

وهذا ما نبينه في هذا المبحث:

١- الآية الأولى- قوله تعالى:{وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ}(البقرة:٥١). وقوله سبحانه:{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}(الأعراف: ١٤٢). <u>وهداية هذه الآية ما يلي:</u>

١- " عِدَةُ الأحباب عزيزة ، فإذا حصلت المواعدة بين الأحباب ، فهي عذبة حلوة كيفما كانت.

٢- ويقال عَلَّلَ الحقُّ - سبحانه - موسى بالوعد الذي وعده بأن يُسْمِعَه مرةً أخرى كلامَه ، وذلك أنه في المرة الأولى ابتلاه بالإسماع من غير وعد ، فلا انتظار ولا توقع ولا أمل ، فأخذ سماعُ الخطاب بمجامع قلب موسى - عليه السلام

---

(١) – مسند الإمام أحمد بن حنبل/ الشيباني ،أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد (المتوفى: ٢٤١هـ)
المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، (٤٢/ ١٣٨ رقم٢٥٣٠٢).في الحق قال: على شرط الشيخين.

(٢) – مقدمة تفسير المنار: (١/ ٢٢ ، ٢٦).

- فعلَّق قلبه بالميقات المعلوم ليكون تأميله تعليلاً له ، ثم إن وعد الحقِّ لا يكون إلا صدقاً ، فاطمأن قلبُ موسى - عليه السلام - للميعاد ، ثم لمَّا مضت ثلاثون ليلة أتى كما سَلَفَ الوعد فزاد له عشراً في الموعد . والمطل في الإنجاز غير محبوب إلا في سُنَّةِ الأحباب ، فإن المطل عندهم أشهى من الإنجاز"(١).

٣- " أَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِصَوْمِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا وَهُوَ شَهْرُ ذِي الْقَعْدَةِ فَلَمَّا أَتَمَّ الثَّلَاثِينَ أَنْكَرَ خُلُوفَ فِيهِ فَتَسَوَّكَ فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ كُنَّا نَشَمُّ مِنْ فِيكَ رَائِحَةَ الْمِسْكِ فَأَفْسَدْتَهُ بِالسِّوَاكِ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدِي مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهَا عَشَرَةَ أَيَّامٍ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ لِهَذَا السَّبَبِ.

٤- أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ أَنْ يَصُومَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا وَأَنْ يَعْمَلَ فِيهَا مَا يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ عَلَيْهِ فِي الْعَشْرِ الْبَوَاقِي وَكَلَّمَهُ أَيْضًا فِيهِ. فَهَذَا هُوَ الْفَائِدَةُ فِي تَفْصِيلِ الْأَرْبَعِينَ إِلَى الثَّلَاثِينَ وَإِلَى الْعَشْرَةِ"(٢).

٥- " دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ ضَرْبَ الْأَجَلِ لِلْمُوَاعَدَةِ سُنَّةٌ مَاضِيَةٌ، وَمَعْنًى قديم أَسَّسَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقَضَايَا، وَحَكَمَ بِهِ لِلْأُمَمِ، وَعَرَّفَهُمْ بِهِ مَقَادِيرَ التَّأَنِّي فِي الْأَعْمَالِ. وَأَوَّلُ أَجَلٍ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى الْأَيَّامُ السِّتَّةُ الَّتِي خَلَقَ فِيهَا جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ، قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: فَإِذَا ضَرَبَ الْأَجَلَ لِمَعْنًى يُحَاوِلُ فِيهِ تَحْصِيلَ الْمُؤَجَّلِ فَجَاءَ الْأَجَلُ وَلَمْ يَتَيَسَّرْ زِيدَ فِيهِ تَبْصِرَةً وَمَعْذِرَةً. والزِّيَادَةُ الَّتِي تَكُونُ عَلَى الْأَجَلِ تَكُونُ مُقَدَّرَةً، كَمَا أَنَّ الْأَجَلَ مُقَدَّرٌ. وَلَا يَكُونُ إِلَّا بِاجْتِهَادٍ مِنَ الْحَاكِمِ بَعْدَ النَّظَرِ إِلَى الْمَعَانِي الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْأَمْرِ"(٣).

٦- أوف بعهد الله، يوف الله لكم بعهده، ولا تكونوا كبني إسرائيل (اليهود) فإنّ الله حذرهم:{وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ}(البقرة:٤٠).

٧- العفو نعمة من الله تستوجب الشكر، وحسن الشكر لله ينزل العفو. ورغم ذلك تأخر اليهود عن الشكر، فأخر الله عنهم العفو:{ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}(البقرة:٥٢).

---

(١) – لطائف الإشارات: (٥٦٣/١).
(٢) – مفاتيح الغيب/ الفخر الرازي: (١٤/ ٣٥٢).
(٣) – تفسير القرطبي:(٧/ ٢٧٥).

٨- شكر الله من بني إسرائيل لأسباب كثيرة، منها: التوبة من الله والعفو، عودة موسى- عليه السلام-، إنزال التوراة عليه.

٢- الآية الثانية- قوله تعالى:{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ}(الأنعام:٧٤-٧٧).

<u>وهداية هذه الآية ما يلي:</u>

١- "المقام مقام مناظرة، من إبراهيم لقومه، وبيان بطلان إلهية هذه الأجرام العلوية وغيرها. وأما من قال: إنه مقام نظر في حال طفوليته، فليس عليه دليل"(١).

٢- "اعْتِرَافُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِفَضْلِهِ إبراهيم- عليه السلام- وَعُلُوِّ مَرْتَبَتِهِ لَمْ يَتَّفِقْ لِأَحَدٍ كَمَا اتَّفَقَ لِلْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالسَّبَبُ فِيهِ أَنَّهُ حَصَلَ بَيْنَ الرَّبِّ وبين العبد معاهدة فأَوَفَّى بِعَهْدِ الْعُبُودِيَّةِ، وقد نَاظِرٌ فِي إِثْبَاتِ التَّوْحِيدِ وَإِبْطَالِ الْقَوْلِ بِالشُّرَكَاءِ وَالْأَنْدَادِ فِي مَقَامَاتٍ كَثِيرَةٍ"(٢).

٣- اليقين في الله يزيد الإيمان، ويحبب العمل الصالح ويزينه في القلب، ويريح به النفس.

٤- الحجة المرئية أقوي من الحجة المعنوية، خصوصاً مع المعاند، وهذا هو الأسلوب الذي استخدمه سيدنا إبراهيم- عليه السلام- في جميع مجادلاته مع قومه ولذلك لم يهزم في أيٍّ منها، ولذلك ختم حديثه مع قومه بقوله تعالى:{إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}(الأنعام:٧٩).

٥- التوحيد أمانٌ وراحة لأهله في الدنيا والآخرة، قال تعالى:{ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}(الأنعام٨٢). والشرك أرق واضطراب، لأنه أظلم الظلم، قال تعالى:{ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}(لقمان:١٣).

---

(١) – تفسير السعدي : صـ ٢٦٢.

(٢) – مفاتيح الغيب/ الفخر الرازي: (١٣/ ٢٨).

٣- الآية الثالثة - قوله تعالى قوله تعالى:{ قَالُوا يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ}(هود:٨١). وقوله سبحانه:{ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ}(الحجر:٦٥).

<u>وهداية هذه الآية ما يلى:</u>

١- ركن الله قويٌّ شديد، فمن توكل عليه كفاه، ومن اعتصم به نجاه، ومن سأله أعطاه.

٢- عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ قَالَ: سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ هَذَا فَقَالَ: يَعْنِي عَنْ ظَالِمِي أُمَّتِكَ، مَا مِنْ ظَالِمٍ مِنْهُمْ إِلَّا وَهُوَ بِمَعْرِضِ حَجَرٍ يَسْقُطُ عَلَيْهِ مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ(١).

٣- "سَبَبُ النَّهْيِ عَنِ الِالْتِفَاتِ التَّقَصِّي فِي تَحْقِيقِ مَعْنَى الْهِجْرَةِ غَضَبًا لِحُرُمَاتِ اللَّهِ بِحَيْثُ يَقْطَعُ التَّعَلُّقَ بِالْوَطَنِ وَلَوْ تَعَلُّقَ الرُّوْيَةَ.

٤- تَعْيِينُ اللَّيْلِ لِلْخُرُوجِ كَيْلَا يُلَاقِي مُمَانَعَةً مِنْ قَوْمِهِ أَوْ مِنْ زَوْجِهِ فَيَشُقُّ عَلَيْهِ دِفَاعُهُمْ"(٢).

٥- " أن الجسارة على الزّلة وخيمة العاقبة- ولو بعد حين، ولا ينفع المرء اتصاله بالأنبياء والأولياء إذا كان فى الحكم والقضاء من جملة الأشقياء ..،

٦- وأنّ سُنَّةُ الله في عباده قلبُ الأحوال عليهم ، وإنَّ مَنْ عاش في السرور دهراً ثم تبدل يُسْرُه عُسْراً فَكَمَنْ لم يَرَ قطُّ خيراً ، والذي قاسَى طولَ عمره ثم أُعطِي يُسْراً فكمن لم يَرَ عُسْراً.

٧- ثمّ ذكر سبحانه ما نالهم من العقوبة على عصيانهم ، ثم أخبر أنَّ تلك العقوبةَ لاحقةٌ بمن سَلَكَ سبيلَهم تحذيراً لمن لم يعتبر بهم إذا عرف طريقَهم"(٣).

---

(١) – مفاتيح الغيب/ الفخر الرازي: (١٨/ ٣٤٨).

(٢) – التحرير والتنوير/ الطاهر بن عاشور: (١٢/ ١٣٢).

(٣) – لطائف الإشارات = تفسير القشيري/ القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق/ إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الثالثة، (١٤٩/٣).

٨- وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ جَعَلَ الصُّبْحَ مِيقَاتًا لِهَلَاكِهِمْ، لِأَنَّ النُّفُوسَ فِيهِ أَوْدَعُ، وَالنَّاسَ فِيهِ أَجْمَعُ[١]. فعاقبهم في وقت فيه الأمان أكثر. والطمأنينة فيه أعلى، وهذا بخلاف وقت الليل.

٩- لا يجوز للإنسان أن يجامل على حساب دينه ولو كان ولده أو والده أو الناس أجمعين، وفي القرآن الكريم والسنة تحذير كثيرٌ في ذلك، قال تعالى:{ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}(المجادلة: ٢٢).

٤- الآية الرابعة:- :{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}(الإسراء: ١).

<u>وهداية هذه الآية ما يلي:</u>

١- إنه:" ليل له شأن جليل، ليلٌ دنا فيه الحبيبُ من المحبوب، وفاز في مقام الشهود بالمطلوب، :{فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى* فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}(النجم:٨-١١)، فحينئذ ينطبق عليه التعليل بقوله:{إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، أي: السميع بأحوال ذلك العبد، والبصير لأفعاله، العالمُ بكونها مهذبة خالصة من شوائب الهوى، مقرونة بالصدق والصفا، مُستأهلة للقربة والزلفى"[٢].

٢- " ولمَّا أراد أَنْ يَعْرفَ العِبادُ خَصَّ به رسولَه - صلى الله عليه وسلم - ليلةَ المعراجِ من عُلوِّ ما رقَّاه إليه ، وعِظَمِ ما لَقَّاه به أَزالَ الأعْجوبةَ بقوله : { أَسْرَى } ، ونفى عن نبيِّه خَطَرَ الإعجاب بقوله : { بِعَبْدِهِ } ؛ لأَنَّ مَنْ عَرَفَ ألوهيته ، واستحقاقَه لكمالِ العِزِّ فلا يُتَعَجَّبُ منه أن يفعل ما يفعل ، ومَنْ عرف عبوديةَ نَفْسِه ، وأَنَّه لا يَمْلِكُ شيئاً من أمره فلا يُعْجَبُ بحاله . فالآية أوضحت شيئين

(١) – الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي، أبو عبد الله : (٩/ ٨١).

(٢) – فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)/ الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م، (٩/ ٢٣٦).

اثنين : نَفَى التعجَّبِ من إظهارِ فِعْلِ اللَّهِ عزَّ وجل ، ونفَى الإعجاب في وصف رسول الله عليه السلام .

٣- تحديد المسجد في أول الرحلة ونهايتها، يعطي دلالة على أهمية الصلاة، ومشروعيتها في تلك الليلية.

٤- تكريم الله تعالى لنبيه- صلى الله عليه وسلم- وصور ذلك كثيرة منها:

أ/ ويقال أنه- سبحانه وتعالى- أخبر عن موسى عليه السلام - حين أكرمه بإسماعه كلامه من غير واسطة - فقال:{وَلَمَّا جَآءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا}(الأعراف:١٤٣)، وأخبر عن نبينا صلى الله عليه وسلم بأنه:{أَسْرَى بِعَبْدِهِ}، وليس مَنْ جاءَ بنفْسِه كمنْ أَسْرَى به ربُّه، فهذا مُحتَمَلٌ وهذا محمول، هذا بنعت الفَرْقِ وهذا بوصف الجمع، هذا مُرِيدٌ وهذا مُرَادٌ .

ب/ ويقال أرسله الحقُّ - سبحانه - ليتعلَّم أهلُ الأرضِ منه العبادة ، ثم رَقَّاه إلى السماءِ ليتعلَّمَ الملائكةُ منه آدابَ العبادة، قال تعالى في وصفه- صلى الله عليه وسلم-:{مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى}(النجم:١٧)، فما التَفَتَ يميناً وشمالاً، وما طمع في مقامٍ ولا في إكرام؛ تجرَّد عن كلِّ طلبٍ وأَرَبٍ.

ج/ قوله:{لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَآتِنَا}: من الآيات التي أراها له تلك الليلة أنه ليس كمثله- سبحانه- شيءٌ في جلالهِ وجماله، وعِزِّه وكبريائه، ومجده وسنائه، ثم أراه من آياته تلك الليلة ما عَرَفَ به صلوات الله عليه- أنه ليس أحدٌ من الخلائق مثْلَه في نبوته ورسالته وعلوِّ حالته وجلال رتبته"(١).

٥- "كانت الرحلة إلى بيت المقدس لأنّ النبوّات ظلّت دهورا طوالا وهي وقف على بني إسرائيل، وظلّ بيت المقدس مهبط الوحي، ومشرق أنواره على الأرض، وقصبة الوطن المحبب إلى شعب الله المختار، فلما أهدر اليهود كرامة الوحي، وأسقطوا أحكام السماء، حلّت بهم لعنة الله، وتقرّر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد! ومن ثمّ كان مجيء الرسالة إلى محمد صلى الله عليه وسلم؛ انتقالا بالقيادة الروحية في العالم من أمة إلى أمة، ومن بلد إلى بلد، ومن ذرية إسرائيل

(١) – لطائف الإشارات = تفسير القشيري/ القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (المتوفى: ٤٦٥هـ)، المحقق/ إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الثالثة، (٣٣٤/٢).

إلى ذرية إسماعيل، وقد كان غضب اليهود مشتعلا لهذا التحوّل، مما دعاهم إلى المسارعة بإنكاره"(١).

٦- في هذه الرحلة: أ/ تثبيت قلب النبي- صلى الله عليه وسلم-، وتطيب خاطره. ب/ إعطاؤه- صلى الله عليه وسلم- القوة الإيمانية في مواجهة سلطان الكفر. ج/ التهيئة للحدث الأكبر في تاريخ الإسلام وهو الهجرة. د/ إعلام كفار قريش ومن على شاكلتهم أن الله تعالى ناصرٌ رسوله- صلى الله عليه وسلم- غير تاركه وحده، فهو سبحانه مؤيده وناصره.

٥- الآية الخامسة:- قوله تعالى:{ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا}(مريم: ١٠).

<u>وهداية هذه الآية ما يلي:</u>

١- "وفيه مناسبة عجيبة، وهي أنه كما يمنع نفوذ الأسباب مع وجودها، فإنه يوجدها بدون أسبابها ليدل ذلك أن الأسباب كلها مندرجة في قضائه وقدره، فامتنع من الكلام ثلاثة أيام، وأمره الله أن يشكره ويكثر من ذكره بالعشي والإبكار، حتى إذا خرج على قومه من المحراب {فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيًّا} أي: أول النهار وآخره"(٢).

٢- "وَلَمَّا أُجِيبَ بِهِ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَخُصَّهُ بِعِبَادَةٍ يَتَعَجَّلُ بِهَا شُكْرَهُ وَيَكُونُ إِتْمَامُهُ إِيَّاهَا آيَةً وَعَلَامَةً عَلَى حُصُولِ الْمَقْصُودِ. فَأُمِرَ بِأَلَّا يُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، بَلْ يَنْقَطِعُ لِلذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ مَسَاءً صَبَاحًا مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، فَإِذَا احْتَاجَ إِلَى خِطَابِ النَّاسِ أَوْمَأَ إِلَيْهِمْ إِيمَاءً"(٣). "ومع ذلك فإن لهفة زكريا على الطمأنينة تدفع به أن يطلب آية وعلامة على تحقق البشرى فعلاً، فأعطاه الله آية تناسب الجو النفسي الذي كان فيه الدعاء وكانت فيه الاستجابة . . ويؤدي بها حق الشكر لله الذي وهبه على الكبر غلاماً "(٤).

---

(١) – فقه السيرة/ السقا: محمد الغزالي (المتوفى: ١٤١٦هـ)، دار القلم – دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، الأولى، ١٤٢٧هـ، صـ ١٣٩.

(٢) – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق
الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، صـ ١٢٩.

(٣) – تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)/ القلموني الحسيني، محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م، (٢٤٦/٣).

(٤) – في ظلال القرآن/ سيد قطب إبراهيم: (٩١/٥).

٣- "وجعل آية ولايته في إمساك لسانه عن المخلوقين مع انطلاقها مع الله بالتسبيح ، أي لا تمتنع عن خطابي فإني لا أمنع أوليائي من مناجاتي"(١).

٤- الإستمرار في العبادة سببٌ في تفريج الكرب، واجابة الدعاء، خصوصاً في العبادة الغير محدودة بزمانٍ أو مكانٍ، أوعدد، أو كيفية معينة، وذلك مثل الذكر، والتسبيح، قال تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}(الأحزاب:٤٢).

٥- الله يتولى عباده ولا ينس أولياءه. ومن ظنّ بالله خيراً فالله وكيله وكفيله.

٦- نداء الملائكة للبشارة في الصلاة، وهو في المحراب، يعطي إشارة قوية لأهمية الصلاة والمسجد في حياة كل مسلم.

٧- النداء الخفي لرب العالمين، وبث الشكوى، والثقة فيما عند الله، سببٌ قوي في إجابة الدعاء، وقبول الرجاء، مهما كانت صعوبة (استحالة) الأمر، قال تعالى:{وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا} (مريم:٤).

٨- برّ الوالدين سببٌ لكل خير، ونجاة من كل مهلكة، قال تعالى:{ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا}(مريم:١٤).

٩- يجوز للإنسان أن يطلب من الله عقباً يرثه، ويحمل اسمه، بشرط أن يطلب الذرية الصالحة:{ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ} (آل عمران:٣٨).

٦- الآية السادسة:- قوله تعالى:{ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ}(الدخان:٢٣). وقوله سبحانه:{ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ}(الشعراء:٥٢).

<u>وهداية هذه الآية ما يلي:</u>

١- " مِنْ سُنَّتِهِ تَعَالَى فِي عِبَادِهِ إِنْجَاءُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُصَدِّقِينَ مِنْ أوليائه، المعترفين بِرِسَالَةِ رُسُلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ، وَإِهْلَاكُ الْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَلِذَا أَمَرَ مُوسَى أَنْ يَخْرُجَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْلًا.

٢- وَسَمَّاهُمْ عِبَادَهُ، لِأَنَّهُمْ آمَنُوا بِمُوسَى. وَمَعْنَى" إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ" أَيْ يَتَّبِعُكُمْ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ لِيَرُدُّوكُمْ. وَفِي ضِمْنِ هَذَا الْكَلَامِ تَعْرِيفُهُمْ أَنَّ اللَّهَ يُنْجِيهِمْ مِنْهُمْ"(١). " والتأكيد لتقدم ما يلوح بالخبر"(٢).

(١) – لطائف الإشارات/ القشيري: (٣١١/١).

٣- " هَذَا لَطِيفَةٌ تُنَاسِبُ الْمَقَامَ هُنَا: إِذْ قَالَ أَسْرى بِعَبْدِهِ دُونَ سَرَى بِعَبْدِهِ، وَهِيَ التَّلْوِيحُ إِلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ مَعَ رَسُولِهِ فِي إِسْرَائِهِ بِعِنَايَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ"(٣). وهو سبحانه كان مع نبيه موسى- عليه السلام-، بعنايته وتوفيقه. وكل عباده كذلك.

وَأَيْضًا لِيَتَوَسَّلَ بِذِكْرِ اللَّيْلِ إِلَى تَنْكِيرِهِ الْمُفِيدِ لِلتَّعْظِيمِ.فَتَنْكِيرُ لَيْلًا لِلتَّعْظِيمِ، بِقَرِينَةِ الِامْتِنَاءِ بِذِكْرِهِ مَعَ عِلْمِهِ مِنْ فِعْلِ أَسْرى، وَبِقَرِينَةِ عَدَمِ تَعْرِيفِهِ، أَيْ هُوَ لَيْلٌ عَظِيمٌ بِاعْتِبَارِ جَعْلِهِ زَمَنًا.

٤- أنْ من إكرام الله تعالى لأوليائه أن يتولى سبحانه بنفسه هلاك الطغاة حين يصعب عليهم إهلاكهم، ويقدر لهم المعجزات- التى لايتخيل وقوعها عقل، وتلك من أعظم الكرامات.

٥- وإنّ من إكرام الله لأهل مصر أنّه سبحانه لمّا أراد هلاك هذا الطاغية أخرجه من أرض مصر وجعل إهلاكه في اليم حتى لا ينزل البلاء بأرض مصر التي قال فيها:{ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ} (يوسف:٩٩)، ولما تكلم سبحانه عن خزائن مصر على لسان يوسف- عليه السلام- قال سبحانه:{ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ}(يوسف:٥٥).

---

(١) – الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي/ شمس الدين القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (المتوفى: ٦٧١هـ)
تحقيق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م، (١٣/ ١٠٠).

(٢) – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ الحسيني الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبد الله (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق/ علي عبد الباري عطية
دار الكتب العلمية – بيروت، الأولى، ١٤١٥ هـ، (١٣/ ١٢١).

(٣) – تفسير التحرير والتنوير: (١١/١٥) .

الخـــــاتـــــمـــــة

حاولت في هذا البحث بيان الأحداث التي حدثت ليلاً في القرآن الكريم، والاجتهاد في أن نُجلِّي الفوائد العلمية والتربوية والهدائية من حال حدوثها ليلاً ومقتضياته، وتوصّلنا من خلال عرض الخطة، والدِّراسةِ التَّحليلية لما استقرأناه من التتبُّع، النتائجَ الآتيةَ:

١- قلَّة عدد الأحداث التي نص فيها على لفظ الليل، وتعدادها ستة مواضع.

٢- تمّ تحديد الوقت في جميع الأحداث من الله عزّ وجلّ. أمّا المكان لم يحدد إلا لمحمد- صلى الله عليه وسلم-، وموسى- عليه السلام-، ويفضل عند محمد لأنه مسجد (وله دلالة).

٣- الأحداث كلها نجاة من شدة، وتثبيت على الحق.

٤- إن تخصيص هذه الأحداث بالليل يعطي دلالة كثيرة منها:

أ/ أنّ الليل وقت الخلوة والاختصاص عرفا، ولأنه وقت الصلاة التي كانت مفروضة عليه في قوله تعالى:{قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا}(المزمل: ٢)، والليل وقت الاجتهاد للعبادة. وكان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تورّمت قدماه. وكان قيام الليل في حقّه واجبا.

ب/ أنّ الليل وقت صفاء السماء، وهدوء الكون من حولك، وهذا أدعى للتفكر والاعتبار ولما في ذلك الوقت من الليل من سعة الرحمة ومضاعفة الأجر وتعجيل الإجابة، وقد أكرم الله بعض عباده في ظلمات الليل.

ج/ إنّ الحجة في الليل أدمغ وأقطع، وقت احتياج الخلق إلى المعين في الظلمة والضعف وقلة النصير.

د/ إنّ أكثر وقع الإيذاء على النفس، ويشتد إيلامها، في جوف الليل، حين يأوي الإنسان إلى منامه، ويخلد إلى فراشه وحيداً، وقتها يتذكر ما حدث له فتفيض عينه، ويحتاج إلى ما يخفف عنه، ويطيب خاطره.

٥- من الفوائد الهدائية الإيمانية المستفادة من تدبُّر الأحداث الليلية:

أ / أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ موسى- عليه السلام- أَنْ يَصُومَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا وَأَنْ يَعْمَلَ فِيهَا مَا يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ عَلَيْهِ فِي الْعَشْرِ الْبَوَاقِي وَكَلَّمَهُ أَيْضًا فِيهِ.

ب / أنْ من إكرام الله تعالى لأوليائه أن يتولى سبحانه بنفسه هلاك الطغاة حين يصعب عليهم إهلاكهم، ويقدر لهم المعجزات- التى لايتخيل وقوعها عقل، وتلك من أعظم الكرامات.

ج / إنّ الله كما يمنع نفوذ الأسباب مع وجودها، فإنه يوجدها بدون أسبابها ليدل ذلك أن الأسباب كلها مندرجة في قضائه وقدره.

وأمَّا مانوصي به من اقتراحٍ، فيتلخَّص في_إفراد ما يشبه هذا النوع من الدراسات القرآنية بتجديد البحث فيها وعرضها على منهج الدراسة الموضوعية نحو:

- **دراسة الأحداث الليلية- غير المنصوص فيها بلفظ الليل- في القرآن الكريم دراسة تفسيرية مقاصدية .**

فهـرس المراجـــــع

- الإتقان في علوم القرآن/عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي(المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم . أبو السعود العمادي ، طبعة دار إحياء التراث العربي– بيروت.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ .
- البرهان في علوم القرآن/أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»/ محمد الطاهر بن عاشور التونسي ١٣٩٣هـ) ، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس ، سنة النشر: ١٩٨٤ ه .
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- تفسير السعدي ،طبعة دار الحديث – القاهرة .
- تفسير القرآن العظيم / لابن كثير ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت – الأولى ١٤١٩هـ.
- تفسير المراغي/أحمد بن مصطفى المراغي ١٣٧١هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر ، الأولى، ١٣٦٥هـ.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج/د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر دمشق ، الثانية ، ١٤١٨هـ.
- تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان/ عبد الحميد الفراهي(١٢٨٠ – ١٣٤٩)، الدائرة الحَمِيدية الهند الطبعة : الأولى ٢٠٠٨م.

- تهذيب اللغة / محمد الأزهري الهروي، أبو منصور ٣٧٠هـ ،تحقيق/ محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي بيروت ،الأولى٢٠٠١م.
- التوقيف على مهمات التعاريف / زين الدين محمد الحدادي ثم المناوي القاهري ١٠٣١هـ ، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة ، الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .
- جامع البيان في تأويل القرآن /محمد بن جرير الطبري ، ت ٣١٠ هـ ، تحقيق أحمد محمد شاكر – الرسالة الأولى١٤٢٠هـ.
- الجامع الكبير - سنن الترمذي/ محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري/محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن / أبو عبد الله القرطبي ، تحقيق أحمد البردوني ، وإبراهيم أطفيش ، طبعة دار الكتب المصرية – الثانية ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ، تحيق /علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الأولى، ١٤١٥ هـ .
- السلسلة الصحيحة/محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض، بدون تاريخ.
- السلسلة الضعيفة/ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض، بدون تاريخ.
- سنن ابن ماجه/أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

- سنن أبي داود/أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.
- السنن الكبرى/أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه/ حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية / أبو نصر الجوهري الفارابي ٣٩٣هـ ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت ،الرابعة ١٤٠٧هـ .
- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته/ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بدون تاريخ.
- كتاب التعريفات/ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ٨١٦هـ، تحقيق/ ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
- كتاب العين/أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري ١٧٠هـ،تحقيق/ د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ،دار ومكتبة الهلال .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الثالثة - ١٤٠٧ هـ .
- كيف نتعامل مع القرآن/ محمد الغزالي، طبعة نهضة مصر، الطابعة السابعة، ٢٠٠٥م.
- لسان العرب / محمد ابن منظور الأنصاري ٧١١هـ ، دار صادر – بيروت ، الثالثة:١٤١٤ هـ .
- مجالس القرآن/ فريد الأنصاري، طبعة دار السلام، بدون تاريخ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ.

- محاسن التأويل/ محمد جمال الدين بن محمد القاسمي١٣٣٢هـ، تحقيق/محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه - بيروت
- مسند الإمام أحمد بن حنبل/أحمد بن حنبل، المحقق : شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم/مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- معجم اللغة العربية المعاصرة /د أحمد مختار عبد الحميد عمرت- ١٤٢٤هـ، بمساعدة فريق عمل ، عالم الكتب ،الأولى، ١٤٢٩ هـ.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، ١٣٦٤م.
- معجم مقاييس اللغة/ أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي٣٩٥هـ،تحقيق/عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر،١٣٩٩هـ.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير/أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي– بيروت ، الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
- المفردات في غريب القرآن/أبو القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهانى ٥٠٢هـ، تحقيق/صفوان عدنان الداودي ، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت ، الأولى - ١٤١٢ هـ .
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية . ابن تيمية الحراني ، تحقيق د / محمد رشاد سالم ، طبعة جامعة محمد بن سعود – الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .
- نظرات في القرآن / محمد الغزالى- طبعة نهضة مصر الطابعة السادسة ٢٠٠٥م.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ٨٨٥هـ) ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .